

الخبر عن مقتل ابن الأبار وسياقة أوليته

كان هذا الحافظ أبو عبد الله بن الأبار من مشيخة أهل بلنسية، وكان علامة في الحديث ولسان العرب، وبليغا في الترسيل والشعر، وكتب عن السيد أبي عبد الله بن حفص بن عبد المؤمن ببلنسية، ثم عن ابنه، ثم دخل معه دار الحرب حين نزع إلى دين النصرانية، ورجع عنه قبل أن يأخذ به، ثم كتب عن ابن مردنيش. ولما زحف الطاغية إلى بلنسية ونازلها، بعث زيان بوفد بلنسية ويبيعهم إلى الأمير أبي زكرياء، وكان فيهم ابن الأبار هذا الحافظ، فحضر مجلس السلطان وأنشد قصيدته على روى السين يستصرخه فبادر السلطان بإغاثتهم، وشحن الأساطيل بالمدد إليهم، من المال والأقوات والكساء، فوجودهم في هوة الحصار، إلى أن تغلب الطاغية على بلنسية، ورجع ابن الأبار بأهله إلى تونس، غبطة بإقبال السلطان عليه، فنزل منه بخير مكان، ورشحه لكتب علامته في صدور رسائله ومكتوباته، فكتبها مدة، ثم إنَّ السلطان أراد صرفها لأبي العباس الغساني، لما كان يُحسن كتابتها بالخط المشرقي، وكان أثر عنده من الخط المغربي؛ فسخط ابن الأبار، أنفة من إثارة غيره عليه، وافتات على السلطان في وضعها في كتاب أمر بإنشائه، لقصور الترسيل يومئذ في الحضرة عليه، وأن يبقى مكان العلامة منه لوضعها فجاهر بالرد، ووضعها استبدادا وأنفة؛ وعوتب على ذلك، فاستشاط غضبًا، ورمى بالقلم، وأنشد متمثلاً:

تطلب العز في لظى وذو الذلِّ ولو كان في جنان الخلود

فتمى ذلك إلى السلطان، فأمر بلزومه بيته؛ ثم استعتب السلطان بتأليف رفعه إليه، عد فيه من عوتب من الكتاب وأعتب، وسماه إعتاب الكتاب، واستشفع فيه بابنه المستنصر بالله، فغفر السلطان له، وأقال عثرته، وأعادته إلى الكتابة.

ولمّا هلك الأمير أبو زكرياء رفعه المستنصر إلى حضور مجلسه، مع الطبقة الذين كانوا يحضرونه من أهل الأندلس وأهل تونس. وكان في ابن الأبار أنفة وبأو^(١) وضيق خلق، وكان يزرى على المستنصر في مباحثه، ويستقصر مداركه؛ فخشن له صدره، مع ما كان يسخط به السلطان، من تفضيل الأندلس وولاتها عليه.

وكانت لابن أبي الحسين فيه سعاية، لحقد قديم، سببه أن ابن الأبار لمّا قَدِمَ في الأسطول من بلنسية، نزل ببَنَزْرَت، وخاطب ابن أبي الحسين بغرض رسالته، ووصف أباه في عنوان مكتوبه بالمرحوم؛ ونبه على ذلك فاستضحك، وقال: إن أباً لا تُعرف حياته من موته لأبّ خامل؛ ونميت إلى ابن أبي الحسين، فأسرّها في نفسه، ونصب له، إلى أن حمل السلطان على إشخاصه إلى بجاية؛ ثم رضى عنه واستقدمه، ورجعه إلى مكانه من المجلس، وعاد هو إلى مساءة السلطان ينزعاته، إلى أن جرى في بعض الأيام ذكر مولد الواثق، وساءل عنه السلطان بعض من حضره فاستبهم، فغدا عليه ابن الأبار بتاريخ الولادة وطالعهها، فاتهم بتوقع المكروه للدولة والتربص بها، كما كان أعداؤه يُشيعون عنه، بما كان ينظر في النجوم؛ فتقبّض عليه، وبعث السلطان إلى داره، رفُفعت إليه كتبه أجمع، وألّفى في أثنائها - فيما زعموا - رقعة بأبيات أولها:

طغيا بتونس خلفٌ سموه ظلماً خليفه

فاستشاط لها السلطان، وأمر بامتحانه ثم بقتله، فقتل قعصاً بالرمح وسط محرم من سنة ثمان وخمسون، يعنى وست مئة. ثم أحرق شلوه، وسيقت مجلدات كتبه، وأوراق سماعه ودواوينه، فأحرقته معه.

انتهى كلام ابن خلدون.

(١) البأو: الكبير.

والقصيدة السينية التى أشار إليها ابن خلدون، كنت عزمت على ذكرها
أولّ تراجم هذا الكتاب، حين ذكرت أمر الجزيرة، وأتيت بقصيدة صالح ابن
شريف، فنسيت ذلك، حتى قضى الله به الآن؛ وهى من غرر القصائد
الطنانة، وهذا نصها^(١):

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا	إنّ السبيل إلى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمتست	فلم يزل منك عز النصر ملتتمسا
وحاش مما نعانیه حشاشتها	فطالما ذقت البلوى صباح مسا
يا للجزيرة أضحى أهلها جزراً	للحادثات وأمسى جدها تعسا
فى كل شارقة إمام بائقة	يعود مآتمها عند العدا عرسا
وكل غاربةٍ إجحاف نائبة	تشنى الأمان حذار والسرور أسا
تقاسم الروم لا نالت مقاسمهم	ولا عقائلها المحجوبة الأنسا
وفى بلنسية منها وقرطبة	ما ينسف النفس أو ما ينزف النفسا
مدائن حلها الإشراك مبتسما	جذلان وارتحل الإيمان مبتئسا
وصيرتها العوادي العاثات ^(٢) بها	يستوحش الطرف منها ضعف ما أنسا
فمن دساكر كانت دونها حرسا	ومن كنائس كانت قبلها كنسا
يا للمساجد عادت للعدا بيعا	وللنداء غدا أثناءها جرسا
لهفى عليها إلى استرجاع فائتها	مدارساً للمثانى أصبحت درسا
وأربعا نمنمت أيدي الربيع لها	ما شئت من خلع موشية وكسا

(١) نفح الطيب ج ٤ ص ٤٥٧.

(٢) فى سائر الأصول: «العاثات»، والمثبت رواية المصنف فى نفح الطيب ولعلها أنسب.

كانت حدائق للأحداق مونقةً
 وحال ما حولها من منظر عجب
 سرعان ما عاث جيش الكفر واحربا
 وابتز بزتها مما تحيفها
 فأين عيش جنيناه بها خضرًا
 محاسنها طاغٍ أتيح لها
 ورج أرجاءها لما أجاط بها
 خلا له الجو فامتدت يده إلى
 وأكثر الزعم بالثليث منفردا
 صل حبلها أيها الملى الرحيم فما
 وأحى ما طمست منها العداة كما
 أيام سرت لنصر الحق مستبقا
 وقمت فيها بأمر الله منتصرا
 تمحو الذى كتب التجسيم من ظلم
 وتقتضى الملك الجبار مهجته
 هذى رسائلها تدعوك من كذب
 فتك جارية بالنجح راجيةً
 خاضت خُضارة يُعليها ويخفضها
 فصوح النضر من أدواحها وعسا
 يستجلس الركب أو يتركب الجلُسا
 عيث الدبا فى مغانيتها التى كبسا
 تحيف الأسد الضارى لما افترسا
 وأين غصن جنيناه بها سلسا
 ما نام عن هضمها حينا ولا نعسا
 فغادر الشم من أعلامها خنسا
 إدراك ما لم تطأ رجلاه مختلسا
 ولو رأى راية التوحيد ما نبسا
 أبقى المراس لها حبلا ولا مرسا
 أحييت من دعوة المهدي ما طمسا
 وبت من نور ذاك الهدى مقتبسا
 كالصارم اهتز أو كالعارض انبجسا
 والصبح ماحية أنواره الغلسا
 يوم الوغى جهرة لا ترقب الخلسا
 وأنت أفضل مرجو لمن يؤسا
 منك الأمير الرضا والسيد الندسا
 عُباهه فتعانى اللين والشرسا

(١) تحرف فى سائر الأصول إلى: «حمى» والصواب من ابن خلدون والنفع.

وربما سبحت والريح عاتية
 تؤم يحيى بن عبد الواحد بن أبى
 ملك تقلدت الأملاك طاعته
 من كل غادٍ على يمناه مستلما
 مؤيد لو رمى نجمها لأثبتته
 تالله إنَّ الذى ترجى السعود له
 إمارة يحمل المقدار رايتها
 ييدى النهار بها من ضوئه شنبًا
 ماضى العزيمة والأيام قد نكلت
 كأنه البدر والعلياء هالته
 تدبيره وسع الدنيا وما وسعت
 قامت على العدل والإحسان دولته
 مبارك هديه بادٍ سكينته
 قد نور الله بالتقوى بصيرته
 برى العصاة وراش الطائعين فقل
 ولم يغادر على سهل ولا جبل
 فرب أصيد لا تلفى به صيدًا
 إلى الملائك ينمى والملوك معًا
 من ساطع النور صاغ الله جوهره
 له الثرى ولثريا خطتان فلا
 حسب الذى باع فى الأخطار يركبها
 كما طلبت بأقصى شدة الفرسا
 حفص مقبلة من تربه القدسا
 دينًا ودنيا فغشاها الرضا لبسا
 وكل صادٍ إلى نعماء ملتمسًا
 ولو دعا أفقا لى وما احتبسًا
 ما جال فى خلد يوما ولا هجسا
 ودولة عزها يستصحب القعسا
 ويطلع الليل من ظلماته لعسا
 طلق المحيا ووجه الدهر قد عبسا
 تحف من حوله شهب القنا حرسا
 وعرف معروفه واسى الورى وأسا
 وأنشرت من وجود الجود ما رمسا
 ما قام إلا إلى حسنى ولا جلسا
 فما يبالى طروق الخطب ملتبسا
 فى الليث مفترسا والغيث مرتجسا
 حيا لقاحًا إذا وفيته بخسا
 ورب أشوس لا تلقى له شوسا
 فى نبعة أثمرت للمجد ما غرسا
 وصان صيغته أن تقرب الدنسا
 أعز من خطتيه ما سما ورسا
 إليه محياه أن البيع ما وكسا

إن السعيد امرؤ ألقى بحضرته عصاه محتزماً بالعدل محترساً
 فظل يوطن من أرجائها حرماً وبات يوقد من أضوائها قبساً
 بشرى لعبد إلى الباب الكريم حداً آماله ومن العد^(١) المعين حساً
 كأنما يمتطى واليمين يصحبه من البحار طريقاً نحوه يبساً
 فاستقبل السعد وضاحاً أسرته من صفحة فاض منها النور وانعكسا
 وقبل الجود طفاحاً غواربه من راحة غاص فيها البحر وانغمسا
 يا أيها الملك المنصور أنت لها علياء توسع أعداء الهدى تعسا
 وقد تواترت الأنباء أنك من يحيى بقتل ملوك الصفر أندلسا
 طهر بلادك منهم إنهم نجس ولا طهارة ما لم نغسل النجسا

تنبيه: «نغسل النجسا» هكذا ثبت بالنون كما رأيت في بعض النسخ العتيقة، وهو أصوب مما وقع بخط بعضهم بالتاء لأن مثله لا يصلح للمخاطبات السلطانية، ولم يشتهر عند أكثر الناس إلا بالتاء، والصواب ما قدمته من أنه بالنون والله اعلم.

وأوطئ الفيلق الجرار أرضهم حتى يطأطئ رأساً كل من رأساً
 وانصر عبيداً بأقصى شرقها شرقاً عيونهم أدمعاً تهمل رگاً وخساً
 هم شيعه الأمر وهى الدار قد نهكت داء وما لم تباشر حسمه انتكسا
 فاملاً هنيئاً لك التأيد ساحتها جُرداً سلاهب أو خطية دُعسا
 واضرب لها موعداً بالفتح ترقبه لعل يوم الأعادى قد أنى وعسى
 انتهت القصيدة.

(١) تحرف فى سائر الأصول إلى: «العذب» وصوابه من نفخ الطيب. والعدّ: البئر الغزيرة

وذكر غير واحد أنه دخل مرة على المستنصر بالله الحفصى فلما مثل بين يديه آنسه بإقباله وسؤاله ، فأنشده الحافظ رحمه الله :

بُشْرَى بأشرت الهدى والنورا بلقائى المستنصر المنصورا
فإذا أمير المؤمنين لقيته لم ألق إلا نضرة وسرورا
[ومن شعره رحمه الله :

رجوت الله فى اللاواء لما بلوت الناس من ساء ولاه
فمن يك سائلا عنى فإنى غنيت بالافتقار إلى إلهى^(١)

ومن بديع نثره رحمه الله رسالته الحافلة، التى كتب بها للمستنصر، وهى الرسالة الغربية مساقا، المتألئة نظما واتساقا، التى لم ينسج على منوالها، ولم يأت أحد بمثالها، يصف وصول الماء إلى تونس، ويشير فى ذلك إلى إشارات عجيبة، تدل على أن قريحته الوقادة لداعى الإجابة مجيبة وهى :
الحمد لله حمدا لا نقلله . هذا الزمان الذى كنا نؤمله «بلدة طيبة ورب غفور» ودولة مباركة لمحاسنها سفور .

إلى أبى حفص مالوا^(٢)، فهل جالت النجوم حيث جالوا، أو نالت الملوك بعض ما نالوا، مُلك يشتمل الإقبال، وعز يقلقل الأجيال، وكرم صريح الانتماء، فى النماء، وشرف سمت ذوائبه على السماء، إلى عدل وإحسان، هما قوام نوع الإنسان، مع رفق وإسجاح، ضمنا كل فوز ونجاح،

(١) ما بين الحصريتين ساقط من سائر الأصول وهو فى نسخة الرباط رقم ٧٨٤ .

(٢) تحرف فى المطبوع إلى: «آلو» .

فقد آضت الظلماء أنوارا، وفاضت البركات أنجادا وأغوارا، أليس العام ربيعا،
والعالم جميعا، والسعود طالعة، والعصور طائعة مصالح الأعمال تحليها،
وعلى منصات الكمال تجليها، فمن ذا أيها المولى يجاريك إلى مدى، أو
بياريك في إقدام صادق وندي، وآياتك للأبصار هدى، وحياتك للكفار
ردى، بسيرتك عدل الدهر وما جار، ولولا نور غرتك ما أثار:

لقد حسنت بك الأوقات حتى كأنك في فم الزمن ابتسام^(١)

أعرت في المجد والعليا، وعنيت بالدين فعت لك الدنيا، أى عنيد أو
عميد ما ألقى باليد، واتقى في اليوم عاقبة الغد، إصفاقا على التعوض
بصفحك وإسعادك، وإشفاقا من التعرض لصفاحك وصعادك، تعم
بالحسنات آناك، وتتبع في القربات آباءك، بانيا كما بنوا، بل زائدا على ما
أتوا، وباديا من حيث انتهوا:

أناس من التوحيد صيغت نفوسهم فزهم تر التوحيد شخصا مركبا
ومن ساكبات المزن فيض أكفهم فردهم ترد^(٢) ماء الغمام وأعذبا
أمجاد أجواد، في الحباء بحار وفي الحبا أطواد، تقيل أبو زكريا نهج أبى
محمد، وأيدا جميعا بأبى حفص المؤيد:

نسب كأن عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصباح عمودا
أولئك صفوة الأئمة، وحفظة الأئمة، والقائمون دون الأمة، في
الحوادث المدلهمة، وهذه الدولة المحمدية، الخالدية بمكانها الدعوة المهدية،

(١) جاء هذا البيت نثرا في المطبوع، وهو بيت شعر من الوافر.

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «ترى».

إليها انتهت المرشد، وعليها التفت المحامد، وبها اعتزت حين اعتزت العناصر
والمحاتد، ومن خصائصها انفعال الوجود، ومن مراسمها الإيثار بالوجود،
والبدار إلى إغاثة الملهوف وإعانة المنجود، ما برحت للخيرات إيضاعها
وخبها، وبالصالحات غرامها وحبها، حتى لقد فهمت أسرارها، وأودعت
أنوارها، وكلفت أو كفلت إفشاءها وإظهارها، يمينا أن يمين الحق به طولى،
وللآخرة خير لها من الأولى، بمولانا أيده الله عز مكانها، وخلدت سديده
آثارها، شديده أركانها، لا جرم أنه الطاهر كالماء الذى جلبه للطهارة،
والظاهر ولاء ولواء فى مصعد الخلافة ومقعد الإمارة، بالسعادة الأبدية،
وَجَدَهُ وَكَفَّهُ وما هَمُّه إِلَّا تجاوز ما أسلفه سلفه، فجر من الأرض ينبوعا،
وجدد للجدوى رسوما عافية وربوعا، ساحته الحرم، وهو زمزم قصاده
وحجابه، وراحته البحر الخضم، غير طعمه وارتهجابه.

[لله] (١) ما أظهره خلالا، وأبهره جلالا «هكذا هكذا وإلا فلا لا» غابت
كمأة المعارك وشهد، ونامت ولالة الممالك وسهد، فمتى قسطوا أقسط، وإذا
غورا أنبط، ولذلك ما أبطل عمله أعمالهم وأحبط، غلبهم على صفتى الندى
والباس، وسلبهم منقبتى حمزة والعباس.

قال جامع هذا المصنف: أشار الإمام ابن الأبار بقوله: «منقبتى حمزة
والعباس» إلى شجاعة حمزة الشهير الذكر، وثباته الذى يجلّ عن الفكر،
وإلى استسقاء عمر بالعباس رضى الله عنهما، فأتى من الحيا ما عم بالإحيا،
وهمر من الماء ما شفى بعميم الإرواء، نفوس الظماء، الله اعلم.

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوع وهو فى سائر النسخ.

رجع إلى كلام ابن الآبار

فلا غرو أن أمن^(١) ووقى ثم لما كسا وأطعم سقى، آية نَعَمَى وفَت بالميعاد، وحسنى مثلها يعد^(٢) للمعاد، وأتت بماء معين قد أصبح غورا، وملاّت ما بين لابتيتها جنانا ترف ظلا وترق نورا، فيا بشرى لتونس أخصب جديها، وأحسن وصف الروض والغدير أديها، وطالما أطلعت صحراء بل بغضاء، فكم للإمارة قبلها من يد بيضاء، غشيت حبر الجبور والسرور، وعوضت برد الظل من وهج الحرور، خمائل وجداول، تزاوّل منها العين ما تزاوّل، تلك يضل من أحصاها، وهذه يصل بها حصاها، ويا لقصرها السعيد! نعمت أدواحه، وهبت على خضر الأغصان وزرق الغدران أرواحه، هذا وإن بات السماح المفاض يسقيه، والجود الفضفاض ينقع جواده^(٣) ويشفيه، وهنيئا للمسجد الجامع أن رويت جوانحه الصادية، وجمعت في شرعته السارية والغادية، فها هو فجره بادی الغرر والأوضاح، وصخره منبجس بالزلال القراح، وللجمهور بصفوه المنساب، لهج الغياب بالإياب، وطرب الشيب لذكر الشباب، أمسوا قد سوغوا مآربهم، وأضحوا قد علم كل أناس مشربهم، فهم يردون على العذب النмир، ويجدون بركة رأى الأمير، مكّمة ذخرها لسلطانه الزمان، كرامة هناها به الإيمان، وقضية إن حجبت عن داود فما حجب عنها سليمان:

(١) تحرف في المطبوع إلى: «فلا غرو أن من أمن».

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «يعود» وصوابه من سائر النسخ.

(٣) رواية المطبوع إلى: «فؤاده» والمثبت من سائر النسخ بمعنى العطش أو شدته، وهو أنسب.

جمعت للناس بين الرى والشيع فهم بأخصب مصطاف ومرتب
ولم تدع كرما إلا أتيت به تضيف مبتدعا لمبتدع
لما وليت خلعت الخير أجمعه عليهم فبدوا فى أجمل الخلع
لله أيامك استوفت محاسنها فلا فضيلة للأعياد والجمع
دامت مساعيك والأقدار تسعدها تولى المساجد إنصافا من البيع
اللهم إن الإيالة الحفصية، قد أعليت مظاهرها، ونصرت معاشرها،
وقصرت على المصالح الدينية والدنيوية مواردنا ومصادرها، ثم اصطفيت من
شرف بيتها الصراح، ومعدن سوددها الوضاح، مولانا الأمير الأجل، المؤيد
المبارك، أبا عبد الله، فانتضيته حساما فى يدك قائمُهُ، وارتضيته إماما لا تلين
فى ذاتك صرائمه، ولا يلحق شأوه فى النيل من عداتك رائمه، يَمْضى بَأْسًا
حين لا مضاء للحسام العضب، ويهمى جودا والسماء فى أزر من نجيع
الجدب، ينتدب سعيًا لكل حسنى أعيت على القريع الندب.

فاقض اللهم لسلطانه بتأييد التأييد، وأدم بأيامه المباركة نعمة التمهيد،
وضاعف عزة جانبه بأعزازه كملة التوحيد. واجزه اللهم أفضل الجزاء، عن
إفاضة النعماء، وإنارة الظلماء، وكافته عن نقع الغلل والأظماء، بما فجر من
ينابيع الماء، وكما شَرَفَتْ فعله فى الأفعال واسمه فى الأسماء، فاجعله فى
الدنيا داعيا إلى سبيلك، وفى الآخرة هاديا إلى حوض رسولك ﷺ الذى
آتيته بعدد نجوم السماء.

آمين آمين، والسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

ومن بديع ما كتب به مخاطبا رئيس منورقة سعيد بن حكم القرشى
رحمه الله تعالى:

صنو العلا نجل الكرام	إنَّ سعيد بن حكم
يفاجر السيف القلم	رأسه بمثلها
فيه محاسن الشيم	وسودد مجموعة
رعى العهود والذمم	معتمد من شأنه
إلى جوابه القلم	فاتحنى ممهدا
خص ببره وعم	عادة ندب أروع
لِ ومال ملتزم	فشكره فى كل حا
وجادها ثر الديم	حيا الحيا حضرته

اقتضبتها أيها السيد الأعظم، والسند الأعصم، أبقاء الله، وجنابه محفود، ومنابه محمود، وحزبه مودود وشربه مورود، ورواق السعادة والنصرة المعادة^(١)، فوقه ممدود، من دانية كالأها الله تعالى، والوقت مضايق، والرعب ملازم لا يفارق، وأنا بسيادته الأصيله دائم الاعتداد، وعلى عنايته الجميلة قاصر الاعتماد، والله يبقيه كاسمه سعيدا، ويسميه مبدئا فى العلوات ومعيدا، بمنه.

ووصلنى وصل الله حراسته، وكلا من الغير والغيل رياسته، مخاطبته الكريمة الخطيرة، مشرفة بالسؤال عن خاص الأحوال ومنفية، بما تضمنت من الاعتناء، والبر المتوافر الأجزاء، على الأمانى البعيدة والآمال، فثلثت سطورها قياما بحقه الأكبر، ولزمت من شكره ما لا أقصر عنه بمشيئة الله تعالى ولا أقصر، وكان الظن بناديه الأشرف جميلا فقد عاد يقينا، والأمل فيه

(١) فى المطبوع: «المفادة» وما أثبتناه أنسب وهو الذى فى سائر النسخ.

منيباً^(١) فعاد مبينا، ويعلم الله سبحانه أنى أعطر بذكره الأمكنة، وأزكى بشكره الأزمنة، وبودى لو ركب ثبح هذا البحر، حتى أوفيه بعض واجبه، وأشافه بما أجنح إليه، وأنطوى عليه من اعتماد جانبه، وإحماد مقاصده الرياسية ومذاهبه، وقد حملت فلانا عصمه الله ويسر مرامه، وأدام حفظه وإكرامه، من جمل الإعظام ما يؤديه مفسرا، وأفهمته أنى كاتب معتقدا خالصا ومضمرا، وإن تفضل سيدى الأعلى حرسه الله بتكليف بعض أغراضه الكريمة، شفع يده البيضاء بمثلها، واستزاد معلو لم يزل من أهلها، وما يصدر عن الجانب الرياسى أسماء الله من الالتفات إليه، والاعتماد عليه، فإنه معدود فى بره الجسيم، ويد من أياديه التى أعيت على التعديد والتقسيم، والله يعلى محله، ويسعد عقده وحله، ويسوغه من مورد الإسعاد، فى حالتى الإصدار والإيراد، أعلاه وأجله، ويصل حراسته، ويؤيد رياسته بمنه وكرمه.

والسلام الكريم، المبارك العميم، يخص به مقامه الأظهر، ملتزم إكباره وإجلاله، المعتد بتمامه فى السيادة وكماله، محمد بن عبد الله بن أبى بكر من الأبار، ورحمة الله تعالى وبركاته.

وكتب له أيضاً شافعا ومعتنيا.

تعتمد رياستكم المؤملة، وسيادتكم المؤثلة، تحية الشاكر لاعتنائها، المباهى بسناها الوضاح وسنائها، المستديم للأحرار، والممتطين إليها أثباج البحار، شرف عنائها، وكرم غنائها، محمد بن الأبار، ولا مزيد على ما عنده من إعظام يؤدى وظائفه، واعتداد يشفع بتالده طارفه، وثناء يعاطيه أولياء جلالكم ومعارفه، والله يصعد مكانكم، ويسعد زمانكم، بمنه وكرمه.

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «متينا» وصوابه من سائر الأصول.

وتتأدى إلى رياستكم، حفظها الله فى جانب أبى فلان أعزه الله، وبلغه أبعد أمله وأقصاه، وهو من علمتم مكان بيته النبىه من حيه، وسبب نزوحه عن وطنه المحبب ونأيه، واستحقاقه بالمزايا المعلومة، والسجايا الكريمة، لإجزال حفظه ورعيه، وما زال لكمالكم واصفا، وعلى تعظيم جانبكم والإفصاح بواجبكم عاكفا، إمضاء لما أكد بينكم وبينه سالف الأيام، وتميزا بحفظ الود الذى يحفظه غير الكرام.

ومن مطالبى له حملة من التكرمة والتقدمة على النهج الأقوم، وإنزاله من جلالكم، هنا وهنالكم، منزلة المحب المكرم، وتوصية المخصوص بالسفارة فى أشغالكم المباركة، بأن يستصحبه عند الإياب، ويورده محفوظ الجانب على ذلكم الجنب، واختصاصه مع ذلكم بمخاطبة كريمة، ترفعه مكانا عليا، ويكون لما يرد عليه ويخلص بمشيئة الله إليه، عنوانا جليا، ومجدكم حرسه الله يغتفر جناية الإذلال، ويبلغ نهاية الآمال، والله يبقى رياستكم تجبر الكسير وتيسر المرام العسير، وهو سبحانه يؤيد مقامكم، ويكافئ إنعامكم، بمنه.

والسلام الكريم، المبارك العميم، يعتمد محلكم الرياسى، بدءا وعودا، ورحمة الله تعالى وبركاته.

وكتب يهنئ الفقيه الأجل القاضى أبا المطرف بن عميرة بولايته قضاء شاطبة:

بأى بنان أم بأى بىــــــــــــــــان تخط وتملى شكرها الملوان

لولاية عقد لواءها الوجوب، وأسفر وجه محاسنها المحجوب، فأشرق لألاء محياها، وتعاطى الأولياء حمياها، فما شئت من جذلان يجهر^(١)

(١) فى المطبوع: «يُجَبَّر» وفى بعض النسخ: «يجهر» وهو أولى.

شكراً، ونشوانَ يجهد^(١) سُكراً، يترنم كالشادى الباغم، ويترنح كالغصن الناعم، وكلا أصلح الله قاضينا الأعلى، لا نُكر، على من يصف حالة السكر، وإنّ تناهى طرباً، وقضى من رفض الأناة أرباً، فالمرتاح لا يتماسك ولا يتمالك، والارتياح لا يهلك أحداً على راحه يتهالك، لا جرم أنه تسمو به الجدود، وتدرأ عنه بالشبهات الحدود، ويأبىها المولى أشرف الخطط، الضيق عن عادى جلاله، وخالدى خلاله، أرحب الخطط.

قال جامع هذا الموضوع أحمد بن محمد المقرئ وفقه الله:

أشار ابن الآبار بقوله: «وخالدى خلاله» إلى إنّ أبا المطرف من ولد خالد بن الوليد رضى الله عنه، فاعلم ذلك.

رجع إلى كلام ابن الآبار

ما نبأ تهاده النجد والغور، واقتسم الحياة والموت به العدل والجور، سوغ المجد المنيف نطافه، وهز له الدين الحنيف أعطافه، حين قر الحكم الشرعى فى نصابه، وشفى من آلامه وأوصابه، وأرغم المناصب لذلك بنصبه وانتصابه، وسر معلم العلم فأساريه متهلة وسل حسام الحق فأبطال الباطل متسللة، وأشرع سنان الشرع فكل معتد بالجهالة معتدل، وهب نسيم المهابة، فكل معتز للسفاهة معتزل، أما وخطة خطبت منك أكفى أكفائها، وأقرت عين الهدى بتعيينها لك وهدائها، لقد عصبت بقاض يسعى للقوم ويسعد، ونيطت بماض ينهض فى ذات الله وينهد، ولا عجب أن أثرت جلاله، واعتمدت خلاله، فلم تك تصلح إلّا له، فهنيئاً لها ما ألبست من شرف خالد، وأنّ حرست بأقلام ابن سيف الله خالد، وبالبلدة وطى تربتها، وبوى ربتها، ما أخصب عيشتها وأرغدها، وأسعد يومها وغدها، وماذا بها من دين

(١) فى المطبوع: «يجهر» والذى فى سائر النسخ: «يجهد» وهو أنسب.

ودنيا، ومجد وعليها، إذ جمعت المهاجرين إلى الأنصار، وأطلعت محامدها
ومحاسنها ملء الأسماع والأبصار، لا زالت حوزتها تحوز الأكابر، وإمرتها
تعز عزتها المكابر، ودام عمادنا المفضل، وعهادنا المفضل، بين ولى شاكر
حامد، وعدو كاشر حاقد، ينزل الرتب المنيفة، ويطول به مالك أبا حنيفة،
والله ينهضه بما تقلد، ويخلد مجده الأولى بأن يخلد.

والسلام الأتم الأكمل يخصه كثيرا، ورحمة الله تعالى وبركاته.

وكتب رحمه الله تعالى إلى رئيس شاطبة أبى الحسين بن عيسى، شافعا
فى فك أسير، وتيسير عسير:

كتبته إلى سيدى، حرس الله شرفه العبادى، وكألاً كنفه السيادى، ولا
مزيد على ما عندى من الإعظام لرفيع جانبه، والقيام بكبير واجبه، والله
يحفظ شرف بيته العتيق، وحديث قديمه الفائق بطييه المسك الفتيت الفتيق،
ومؤديه فلان أدام الله حفظه وعصمته، وأتم عليه إحسانه ونعمته، والمذكور
يمت إليكم بتقديم الإخلاص، ويرغب أن ينظم لديكم فى أهل الإخلاص؛
وقد بلغكم ما نابه من غير الدهر ونوبه، وكيف نشب فى حباله الأسر الذى
أتى على نشبه؛ وعلمكم بنباهة بيته أغنى عن التنبيه عليه، وفضلكم كفيل
بتسيب الإحسان إليه؛ وقد وثق بسعيكم الكريم فى جبر كسره، وأمل
سيادتكم للثهم بأمره، والتصرف فيما يصرف عليه بعض ما بذل فى خلاصه
من أسره؛ ومثلكم اصطنع أمثاله، وآثر فيما يليق بنباهته استعماله؛ والله يعلى
شأنكم، ويحرس مكانكم والسلام.

وكتب أيضاً شافعا بما نصه :

تلك السجايا العذاب، والكرم اللباب، والساحة التي ألبسها جدته
الشباب؛ مخصصة بتحية التوقير والتكبير، المعبرة أنفاسها العبقة عن العبير.
ومنهيها من زان قومه الأمر والنهي، وحسم قضاؤهم وعطاؤهم الوهن
والوهى؛ فلان، جمع الله له بين الأوطار والأوطان، وأعادته إلى عادته من
عزة الجوانب وشدة الأركان؛ وهو كريمة كرام، آلت بعدهم الأيام، وشكا
فقداهم الأنام، ولبست الحداد عليهن الأسياف الحداد والأقلام؛ وما بانوا إلا
وأياديهم أطواق في الرقاب، وتشريفهم باق في الأعقاب، على مر الأحقاب.
وهذا فلان عرفه الله إسعاد الأقدار، وأعفى مشاربه ومشاعره من
الأكدار؛ يروق وقاره، ويكرم سباره وعينه فراره؛ وأدنى حلاه الطلب،
وبعض خصائصه الأدب؛ ثم شأنه الأخطر شأنه، ومكانه من حيه الذي يتقدم
الأحياء مكانه؛ ورأى عند أخذه في النقلة، وعزمه على الرحلة؛ أن
يستصحب إلى مجدكم هذه الحروف، ويستدفع بعلوم جدكم الصروف؛ وإن
تأملتم ماله من سمت وسيما، أقبلتموه وجه الإقبال وسيما؛ وأوليتموه من
رعى الحق الواجب، ما يراه ضرباؤكم ضربة لازب؛ والله يقيكم للمكارم
تشيدون رسومها الدائرة، وتنظمون عقودها المتناثرة؛ وهو تعالى يكلاً محلکم
الرحيب، ولا يعدمكم من الزمان وأهله الترحيب والترحيب، والسلام.

ومن نظمه رحمه الله قوله في المجينات :

بنفسى مثلجات للصدر لها سمتان من نار ونور
حوامل وهى أبكار عذارى تزف على الأكف مع البكور

كبرد الطل حين تذلق طعمًا وفى أحشائها وهج الحرور
لها حالان بين فم وكفٍ إذا وافتك رائحة السفور
فتغرب كالأهله فى لهاة وتطلع فى يمين كالبدور

وقوله يشكو الزمان :

تحيف حالتى حيف الزمان وصدق اليأس من كذب الأمنى
وبرت فى أليها الليالى بترويعى فَأَنَّى بالأمان^(١)!
أما قنعت وقد كلفت بهضمى وضيمنى دون أبناء البيان
أحاول أن أقوم لما يواتى فتقعدنى الخطوب بلا توانى
وأطباق الثرى بالحر أحرى إذا ألقى الثراء من الهوان
فهل من آخذ بيدى أخيدٍ بعين الله شدة ما يعانى
أيا ما أشتكيه من أيامى عوار فى يد البلوى عوانى
وما أبلغى على تلفى دليلا كفانى أننى حى كفانى

وقوله أيضًا :

يعيرنى قومى بجفوة سلطانى ويشفيهم شكوى نبوة أوطانى
يرون خمولا عطلتى لتوقفى وتلك على محض النباهة برهانى
وقالوا خفوف قلت لا بل رجاحة كفتنى إلقاء بكفى لإذعان

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «فَأَنَّى».

إذا عهدوني للنزاهة راكبا فصعب الأسي وإن هد أركانى

وقوله أيضاً رحمه الله :

علت سنى وقدرى فى انخفاض وحكم الرب فى المربوب ماض
إلى كم أسخط الأقدار حتى كأنى لم أكن يوماً براضى

وقال أيضاً فى معنى التسليم للمقدور:

أما إنه قد خط فى اللوح ما خطا فلا تعتقد للدهر جوراً ولا قسطا
ولا تسخط المقدور وارض بما جرى عليك به إن الرضا يفضل السخطا
وقال أيضاً رحمه الله فى معناه:

إلام فى حل وفى ربط تخبط جهلا أيما خبط!
دع الورى وارج إله الورى فإنه ذو القبض والبسط
ليس لما يعطيه من مانع ولا لما يمنع من معطى

وقال رحمه الله معارضا للرصافى فى أبياته التى أولها:

«ومهذب الشطين تحسب أنه»

بقوله:

ونهر كما ذابت سبائك فضة حكى بمحانيه انعطاف الأراقم

إذا الشفق استولى عليه احمراره تبدى خضيبا مثل دامي الصوارم
وتحسبه سنت عليه مفاضة لإرهاب هبّات الرياح النواسم
وتطلعه فى دكنة بعد زرقة ظلال لأدواح عليه نواعم
كما انفجرت المظل على الدجى ومن دونه فى الأفق سحم الغمام
(*) وقال - ملغزا فى اسم رشا:

أشر على برأى فى هواى فقد
أصبحث أجهل ما آتى وما أذر
ومن هويت - عدانى - أن أسميه
من الوشاة عليه الخوف والحذر
أومأت - عمدا - إليه إذ نسبت به
ولم أبج - طمعا - أن يكتم الخبر
فأقبل تجده ولا تعجل بمعتبة
فليس يخفى - وإن أخفيته - القمر
وأنشد ابن الأبار لنفسه - بعض أصحابه يوم الثلاثاء، وقتل يوم
السبت -:

ونارنجة شبهتها - مذ رأيتها
بجمرة نار لا يطير لها شرر
فناولها من وجهه فتآلفت
فقلت: انظروا المريخ فى دارة القمر

(*) من هذه العلامة إلى مثلها فيما يلى ساقط من المطبوع وهو فى مخطوطة الرباط رقم

وأنشدهما أيضاً بأن جعل آخر البيت الأول:

(بجمرة نار وهى باردة للمس)

وآخر البيت الثانى: (فقلت: انظر المريخ فى دائرة الشمس)(*) .

وقال أيضاً فى معناه:

سقىا لروض رده رآد الضحا	وحمامه طربا يناغى البلبلا
شتى محاسنه فمن زهر على	نهر يسيل كالحباب تسلسلا
وكأنما حمى الربيع لقطفه	واستل منه يذود عنه منصلا
غربت به شمس الظهيرة لا تنى	إحراق صفحته لهيبا مشعلا
حتى كساه الدوح من أفيائه	بردا تمزق بالأصائل هلهلا
وكأنما لمع الظلال بمتنه	قطع الدماء جمذن حين تخللا

وقال فى معناه أيضاً:

لله نهر كالحباب	ترقيشه سامى الحباب
يصف السماء صفاءه	فحصاه بذى احتجاب
وكأنما هو رقة	من خالص الورق المذاب
غازلت فى شطيه أب	حكار المنى عصر الشباب
والظل يبدو فوقه	كالخال فى خد الكعاب
لا بل أدار عليه خو	ف الشمس منه كالنقاب
مثل المجرة جون ^(١) فيها	ذيله جر السحاب

(١) هذا الصواب من سائر النسخ ونفخ الطيب، وفى المطبوع: «جر» .

وقال فى تمثال نعل النبى ﷺ من قصيدة:

سجّام لعمرى أدمع وسجّال لأنَّ عَنّ^(١) من نعل الرسول مثال
وهل يملك العينين فى مثلها سوى خلى عداه عن هداه ضلال
ومنها:

مثال إلى نعل المطهر يعتزى فإعزازه للحُسَين منال
أقبله شوقاً تملكنى لما حكى وشهيدى لو يفوه قبال
وإلى اشتراك فى التزام شراكه وحسبى منه عصمة ومنال
ومعقده مما عقدت به الهوى فلا صح عزمى إن صحا لى بال
مرادى من تمرغ شيبى عليه أن تسح من الرحمى على سجّال
ومن وضعه فى حر وجهى ورفع لقمة رأسى أن يعز مال
فأحظى بحظى من جوار محمّد وهل بعد تنويل الجوار نوال
وله فى ذلك المعنى أيضاً رحمه الله:

لمثال نعل المصطفى أصفى الهوى وأرى السلو خطيئة لن تغفرا
وإذا أضافحه وأمسح لائما أركانه فمعززا وموقرا
سرى اعتزازى فى جهار تذلى لجلاله أثراً بقلبى أثراً
إن شاقنى ذاك المثال فطالما شاق المحب الطيف يطرق فى الكرى
لى أسوة فى العاشقين وقصدهم لثم الطلول لأهلهن تذكر
وبكائهم تلك المعاهد ضلة تحت الظلام على الغرام توفرا

(١) هذا المَثْبُت من سائر الأصول وهو أنسب. والذى فى المطبوع: «عز» بعين ثم زاي.

أفلا أمرغ فيه شيبى راشدا وأريق دمعى وسطه مستبصرا
ثقة بإثرائى من الخيرات فى شغفى بنعلى خير من وطئ الثرى

وقال فى التشوق إلى الضريح الشريف على الدفين به صلوات الله
وسلامه :

لو عَنَّ لى عون من المقدار لهجرت للدار الكريمة دارى
وحللت أطيّب طينة من طيبة جارا لمن أوصى بحفظ الجار
حيث استبان الحق للأبصار لما استثار حفاظ الأنصار
يا زائرين القبر قبر محمّد بشرى لكم بالسبق فى الزوار
أوضعتم لنجاتكم فوضعتم ما آدكم من فادح الأوزار
فوزوا بسبقكم وفوهوا بالذى حملتكم شوقا إلى المختار
أدوا السلام سلمتم وبرده أرجو الإجارة من ورود النار

استطراد لما قيل فى نعل النبى ﷺ

قلت: وإذ جرى ذكر النعل النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة
والسلام، فلا بد أن نورد جملة مما قيل فى مثالها على جهة التبرك،
والتوسل^(١) بصاحبها إلى الله سبحانه، أن يفرج عنا بجاهه كرب الدنيا
والآخرة، وأن يجعلنا من الذين حازوا الرتب الفاخرة، وظفروا بالمقام
الأسنى، وفازوا بالزيادة والحسنى.

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «التوصل» بالصاد.

فمن ذلك قول الشيخ أبي عبد الله محمد بن فرج، مخمسا لأبيات الإمام الشهير أبي الربيع بن سالم الكلاعي، رحمه الله، التي على رويها وقافيتها سلك ابن الأبار، رحمه الله، في الأبيات المذكورة آنفاً:

خبال عرا ما إنَّ جناه سوى النوى
نوى من نوى من كشف بلواى ما نوى
فيا منكر ما قد عراني فى الهوى
«خواطر ذى البلوى عوامر بالجوى ففى كل يوم يعتريه خبال»

سمعت اسمه الأعلى الشريف المشرفا
فخيلتُنّى يعقوب ذكر يوسف
ومن شيم الصب المتيم ذى الوفا
«متى يدع داعٍ باسم محبوبه هفا فيحتاج بلبال ويكشف بال»

رعى الله صبا بالهوى نفسه سمت
له آية فى الحب بالكتم أحكمت
فما لم يلح من حبه أثر صمت
«وإن ير من آثاره أثراً همت له من غروب المقتلين سجال»

فيا نفسى الجالى دجاها هلالها
أما إنَّه نور البدور كمالها
ألا فاعذرى نفسا تحن فحالها

«كحاكى وقد أبصرت نعلا مثالها لنعل الرسول الهاشمى مثال»

ويأيهـا الرانى إلى مـفندا

وقد كدت لولا نهى حبى لأسجدا

هوى وجوى إن يبل دهر تجددا

«عرانى ما يعرفو المحب إذا بدا لعينيه من مغنى الأحبة آل»

ذكرت به عصراً مضى ومعاهدا

فنوديت من نفس نداءً مساعدا

وجدت^(١) فعاود لثمه تدع واجدا

«فقبلت فى ذاك المثال معاودا أرى أن ذلى فى هواه جلال»

وشبهته صفحا ونفحا حديقة

مفتحة الأزهار غنّا أنيقة

شقتها غوادٍ قد غدون غديقة

«ومثلته نعل الرسول حقيقة وإنى لأدرى أن ذاك محال»

فيا جاهلا داء المحبين والدوا

غويت ولا تدري فلا كان من غوى

أتكر لثم المثل فى حالة النوى

«ومن سنة العشاق أن يبعث الهوى مثال ويقتاد الغرام خيال»

تساوت معانى الحب فى كل مقصد

(١) هذا الصواب بالجيم من سائر النسخ، والذي فى المطبوع: «وحدث» بالخاء المهملة.

فمن مقلة عبرى وجفن مسهد
وبرح وتهيام وشوق مجدد
«فلا فرق إلا أن حُبَّ محمد هدى والهوى فبمن عداه ضلال»
انتهى .

ولمحمد بن فرج المذكور عفا الله عنه ، وتقبل بكرمه ورحمته منه ؛ قطع
على حروف المعجم ، فى لزوم ما لا يلزم ؛ وسماها بالقطع الخمسة ، فى مدح
النعال المقدسة .

قال رحمه الله حسبما نقلت من خطه :

وآثرت التخميس على التعشير ، ليكون أسرع لحفظها ، وأبرع للفظها ؛
وأيضاً فوجود خمس من القوافى فى نظم لزومى أو نثر ، أهون على الفكر من
وجود عشر . هذا وإن كان اللسان العربى فصيحاً فسيحاً لا يضيق ، ولا يكاد
يخرج عنه لسان كل فريق ؛ ليس من شرط المطالعة ، أن يحفظ الغريب من
الكلام كل من طالعه ؛ والله سبحانه أسأل أن يجعلها من القربات التى تنفع ،
والوسائل التى تشفع ، والتمائم التى تذود كل سوء فى الدارين وتدفع ،
وصلى الله على الشفيع المشفع ؛ وسلم تسليماً ، من آفة الانفصال سليماً .

قافية الهمزة

أتمثال نعل كان يلبسها الذى إذا عُدت الأرسال ليس له كفاء
أبو القاسم الأسمى الذى وطئ السما بأخمصه ليلا فشرفها الوطاء
أقبل فى طرسٍ حواك كَأَننى عليل وفى تقبيل شكلك لى البرء

أنا المرء بالآثار ممن هويته قنعت وقد يخطى إذا قنع المرء
أحمد لا يهوى الفؤاد سواك ما تقدم عود الشيء فى الرتبة البدء

قافية الباء

بنفسى مثال النعل نعل محمد نبى الهدى المخصوص بالقرب والحب
بدا لى فكأن البدر جلّى بنوره غياهب أشجان تراكم فى قلبى
بكت مقلتى شوقاً للابسها وهل بمطْفئة نار الأسى دمعها الصب
بعثت به شخصاً من الأنس ميتاً فبشرنى بالقرب منه على قرب
بموطئها قد شرف الله تربة عليها مشت فالتبر يحسد للترب

قافية التاء

تلوت وقد أبصرت مثلاً لنعل من تميز بالوصف الشريف وبالنعته
ترفعت من نعل بأخمص مرسل قد انقذ من شر الطواغيت والجبته
تقدست الأرض التى قد مشى بها عليها فصار الفوق يغبط للتحته
تمنيت لو أنى ظفرت بتربها فمرغت فيه الخد للحين والوقت
تمنى صب عاشق دنف جو معنى كئيب حفظ ذى الست

قافية الشاء

ثمار الأمانى قد جنى الطرف إذا رأى مثال نعال المصطفى من أولى البعث
ثراها ومن أعلاه طاب نسيمه وما أنا فى هذى اليمين بذى حنث
ثرى السما ودت لتتقل يا ثرى^(١) إليك فلم تنقل فيها هى ذو بث^(٢)

(١) هذا الصواب من سائر النسخ، وفى المطبوع: «بالثرى».

(٢) هذا الصواب من سائر النسخ، وفى المطبوع: «فها هن فى بث».

ثويت به يا طيب فهو كمسكة يفوق شذاها المسك في الطيب والمكث
ثوابي يا من شرفت بلباسه على مدحها تأمين خوفى فى البعث

قافية الجيم

جللت أيا نعلًا بأخمص سيد إلى حضرة القدس العلية عارج
جبلت على حب له فمتى بدا من آثاره شىء تشور لواعجى
جنى الأنف منها زهر روض إذا انبرى نسيم شذاه بذَّ عرف النوافج
جبرت به صدعًا جناه الهوى وما شُغِفْتُ بغنج الخود ذات الدمالج
جزى الله عنى القلب خيرًا فإنه تعلق بالهادى لأهدى المناهج

قافية الحاء

حظيت أيا نعلًا بأخمص مرسلٍ قد أنزل رب العرش فيه ألم نشرح
حللت بساط القدس حين عروجه ليوضح فى المسرى له الله ما أوضح
حلفت: لأرض قد وطئت ترابها لكالمسك مفضوضًا أما إِنَّه أفوح
حللت نطاق الكتم لما رأيتها فصرح من حبى اللسان بما صرح
حبيبى الرسول المصطفى ومن أجله مدحت لنعليه وحق بأن أمدح

قافية الخاء

خذيها أيا نفسى المشوقة كلما سرى نفس ممن هواى به بذخ
خميلة شعرٍ أودعت مدح نعل من بشرعته كل الشرائع قد نسخ
خضبت نصال الشيب لما رأيتها بدمع محب عقد كتمانته فسخ

خطاها أفاد الأرض زهوا فأنفها على قمم الشهب المنيفة قد شمخ
خصصت أيا نعلأ بأجلى مزية تبين لمن فى العلم أخصه رسخ

قافية الدال

دع الطرف يسرح فى رياضٍ تزينت بمدح نعالى المصطفى الرسول أحمدا
دعى فمشى فوق السماء فلم يظأ بها موضعاً إلا وأصبح مسجدا
دنا فتدلى قاب قوسين إذ دنا فأوحى الذى أوحى إليه من الهدى
دنوَّ حبيب من حبيبٍ لأجله لآدم أملاك السموات أسجدا
درى فضله من فى السماء فكلهم يرون وجيه المرسلين محمدا

قافية الذال

ذر الأنف يستنشق خمائل روضة تبذُّ نسيم المسك أنفاسها بذا
ذكرت به نعلأ لأكرم مرسلٍ براه الذى أعلاه فى رسله فذا
ذرور ثراها المسك فاق فإن تسل عن اذكى من المسك الفتيق شذا فذا
ذكاء تمت أن تكون سحاءة تعى مدحها أو جلدة مثلها تحذى
ذوو حبه التذوا برؤيتها كما بثوب ابن يعقوب أبوه قد التذا

قافية الراء

رأيت مثال النعل الذى به إلى حضرة القدس العلية قد أسرى
رعى الله منها نعل أى كريمة برجلٍ علت فخراً على قمة النسرِ
روى أنه نوى وقد رام خلعها وماء الحيا فى وجنتيه معاً يجرى

رسولى لا تخلع تشرف بوطئها بساطى يا معنى وجودى يا سرى
رفعت لواء المكرمات جميعها بيمنى العلا والناس فى قبضة الذر

قافية الزاى، وهى متجانسة

زفير اشتياقى إذ بدا نعل معتقى مخاطبتى كتمى وعزى قد عزا
زكت شفة قد قبلت نعل سيد به عالم الإنسان أجمعه عزا
زعيم به هنا السرور لنا وفى مصائبنا العظمى المصاب به عزى
زهو سناه ظلمة الشرك قد جلا ولولاه كنا نعبد اللات والعزى
زمانى لا أنفك لاثمها أرى هوان هوانا يا أخلاءنا عزا

قافية الطاء

طوت بعض ما من وحشة نشر النوى نعال خطاها فى المكارم لا تخطا
طفقت أنادى حين لاحت لناظرى وزند الهوى بالسقط قد وصل السقطا
طب انعم تنزه يا فؤادى فهذه نعال الذى جاوزت فى حبه الفرطا
طبعنا على حب له فمتى يلح لنا أثر نشر من ادمعنا سمطا
طلعنا نجومًا فى هواه فأفقنا قد اخلد عنه النجم للأرض وانحطا

قافية الظاء

ظلمت أنادى إذ رأيت نعال من قد أنقذنى والحمد لله لظى
ظهرت لنا فى شكل بدر فلم نكن لبدر الدجى من بعد ذاك لنلحظا
ظمننا فكنن الماء مقلوب همزة نقعت وميم جىء فى إثرها بظا

ظهيري رسول الله أنت لحظتنى بهذى وفى الأخرى ترى لمن الحظا
ظلالكم من كل سوء حفظتنى وما كنت لولا الفضل منكم لأحفظا

قافية الكاف

كرمت أيا نعلا لأكرم مرسل^١ به وهو وسطى السلك قد ختم السلك^٢
كأنك فى عينى نافجة خلت وأبقى بها للأنف من نفحه المسك^٣
كتمت فلما لحت لى باح محجرى بسر معنى قلبه بالنوى يشكو
كفانى كفانى أن بدا أثر لمن به من إसार الشرك قلبى مفتك^٤
كريم كرام الرسل أحمدتها الذى بتوحيده الإشرار أودى فلا شرك^٥

قافية اللام

لمثلك يا نعلا بلابسها نعلو ويا طيب فيهى^(١) كلما قلت يا نعل^٢
لثمت وما أبغيه باللثم لا ولا سواء فما قصدى النعال بل^(٢) الرجل^٣
لها الله من رجلٍ مشت بأجل من شأى رسل الله الكرام وأن جلوا
لنا قد أتى منا عزيز عليه ما عنتنا رءوف راحم ما له مثل^٤
لعمري لولاه لما سحت السما ولا دحيت أرض ولا برئ الكل

قافية الميم

وفيهما وفيما بعدها لزوم زائد لم يهد الله إليه ولا ألهم، إلا بعد الفراغ
من نظم ما تقدم، وإلا فجناب مجده فسيح، ولسان الألكن فى مدحه عليه
السلام فصيح، وصلى الله على سيدنا محمد النبى المليح:

(١) كذا فى سائر الأصول وهو أنسب، وفى المطبوع: «قلبي».

(٢) هذا الصواب من سائر الأصول، والذى فى المطبوع: «بلا».

مثالك نعل المصطفى هاج لى جوى جناه هوى قلبى السعيد به سما
مددت له عيني مشوق به على صبابته ألا تحول قد أقسما
مشيت به فوق السماء فكلما وطئت سماء فاخرت فوقها سما
موكئه قسمن فيها مناسكا فأسمى الذى أدناه ذاك المقسما
محمد أبكيت الثرى إذ عرجتم وعدتم إليه بعد ذا فتبسما

قافية النون

نظرتُ بعيني هائم القلب مدنفٍ شجى أبى إلا البكا طرفه خدنا
نعال حبيب مصطفى من حبيبهِ دنا فتدلى قباب قوسين أو أدنى
نبي جميع الرسل ساد حلّى كما بمبعثه فينا جميع الورى سدنا
نجي لرب العرش ناج محبه غدا من لظى ذات اللظى وارثا عدنا
نزعنا إلى التوحيد من ملك شركنا ولولاه ما والله الله وحـدنا

قافية الصاد

صبرت فلما لاح لى مثل نعل من حلاه تعالت أن تعد وتستقصى
صببت دموعاً من جفونٍ كأنها عزالى سحاب نؤبها النأى قد أقصى
صبوت هوى فى السيد العلم الذى قد أسرى به ليلاً إلى المسجد الأقصى
صميم صميم الجلة القمر الذى وقاه الإله المحق والكسف والنقصا
صراطى هواه للجنان وإنه يقى ووقى جيد اعتصامى به الوقصا

قافية الضاد

ضلوعى لا تهذا ودمعى لا يرقا وليس سوى حالهما منهما أرضى
ضلالى هدى فى ذا الهوى عند أهله ذوى النظر الأقوى ذوى السنن الأرضى
ضعوا قلبى الشاكى بحيث نعالهم فآثارهم تشفى أحبتها المرضى
ضممت نعال المصطفى رجله التى بها شرف الله السموات والأرضا
ضعوها كمثلى فوق رؤوسكم فقد زكا من رأى تعظيم مقدارها فرضا

قافية العين

على وجنتى فاضت دموعى فصرحت بسر فؤادٍ بالتكتّم أولعا
عشى بدت نعل الحبيب كأنها هلال بآفاق القلوب قد اطلعا
عجبت لقلبي أن رآها ولم يطر ويخرق شغافًا قد حواه وأضلعا
عراه خيال فاستقر ولم يطر إليها وشيكًا حين بالأمر طولعا
عسى من أرانى نعله أو مثلها يرينى ضريحًا للمكارم مطلعا

قافية الغين

غليلى لا يطفأ وشجوى لا يفنى ودمعى لغير المزن ليس بمنبغى
غسلت به رين الجوى وهو نكتة بخدى وقلت اسفك نجيعك واصبغ
غداة بدت نعل لأكرم مرسلٍ رفيع شفيع ذى مكارم سُبغ
غيور شكور راحم متلطفٍ كريم منيلٍ واسع السيب مسبغ
غلامك يا مولاي يبغى شفاعه وذلك أمر ما لغيرك ينبغى

قافية الفاء

فؤادى لا تشك البعاد فهذه نعالهم فاستشفين بها تشفى
فَمِ قَبْلُهَا مِثْل نَعْل كَرِيمَةٍ بتقبيلها يشفى سقام من استشفى
فليت يمينى والشمال ومسمى قلبن شفاهاً تحسن اللثم والرشفا
فأطفئ بالتقبيل والرشف جمرةً قد أشعلها شوق على الهلك بى أشفى
فأقسم يا نعل الحبيب لأنت من شراب بطون النحل للمشتكى أشفى

قافية القاف

قُلَيْبِ لا تقنط فهذى نعال من علقت به من قبل مرتبة العلق
قد ابصرتها فى أفق كفى كأنها هلال منير للعيون قد ائلق
قفا فى السنن آثاره القمر الذى للابسسه كالبردة انشق وانفلق
قرأت حذار العين لما رايتيه بأفق يمينى طالعاً سورة الفلق
قست مهجة قد أبصرته وما جرت مسابقة شهب المدامع فى طلق

قافية السين

سموت أيا نعل الرسول برجله على قمم الشهبان والبدر والشمس
سرى ليلة المعراج فوق براقه لىسمى أقطار السموات باللمس
سماء به فلتفخرى بدر سؤددٍ سليم السنن يضحى منيراً كما يمسى
سراج به طلنا الذين تقدموا ولا عجب أن يفضل اليوم للأمس
سلمنا بفضل الله لكننا وهم حروف وما الإطباق فى الحرف كالهمس

قافية الشين

شمخت أيا نعلا لأكرم سيد رسول على السبع السموات قد مشى
شريف له قد أسجد البدر والتفت إليه تجده بالترب منمشا
شغى مبصرى القلب والطرف نوره وقد كنت أعشى القلب والطرف أعمشا
شفاعته نرجو امتداد ظلالها إذا ما الرجا فيما سواها تكمشا
شقت جيوب الكتم وجداً وقلت يا يدي ولهى خد^(١) التصبر فاخمشا

قافية الهاء

هى النعل قد كانت سماء ورجله هلالاً غما أسنى وأضواً أفقها
هيا منكرًا تقبيلها بعد بدرها على دنف ما أنت منه بأفقها
هل القصد إلا رجل لابسها الذى سيسمعى يوم القيامة خفقها
هلالى وشمسى فى دجى الحشر سيدى مبلغ نفسى ما يوافق وفقها
همت عبرتى شوقاً له إذ رأيتهما فما ترجى الأجفان من بعد رفقها

انتهى ما ألفيته من هذه القطع ولم أجد تكملة الحروف؛ وقد كمل ما
بقى منها على نمطها، صاحبنا الفقيه الأصيل أبو الحسن الشامى، حفظه الله،
وسياتى ذلك قريباً.

وألفيت أيضاً بخط هذا الشيخ محمد بن الفرغ السبتي، رحمه الله عدة
قصائد ومقاطع فى هذا الغرض، منها قوله رحمه الله:

(١) هذا الصواب من سائر الأصول، والذى فى المطبوع: «وهى حبل».

ولقد رأيت مثال نعل محمد
 فظلت أمسح وجنتي بشسعه
 يا نعل أكرم مرسل لما أنى
 كرمت من نعل حوت رجلاً مشت
 شرفت بموطئ نعله السبع العلا
 فاشتد شوقى عند ذاك وهاجا
 مسحاً وأجعله برأسى تاجا
 دخل الورى فى دينه أفواجا
 بأجل بادٍ فى الظلام سرجا
 لما ارتقاها عارجاً ليناجى

ومنها قوله رحمه الله :

نثرت محاجر مقلتي من سلكتها
 شوقاً لمبعوثٍ أتى فاستبشرت
 عاينت مثل نعاله ومحمد
 فوجدت فيها ريحه ولربما
 أشرف بها نعلًا عمائم كل ذى
 فلق وعت قدمًا سعت فى فلكتها
 جعلت موطئها الملائك عندما
 يا ليت أعضائى شفاه كلها
 قد كنت ذا خوفٍ ووحشةٍ أبدلا
 فكأنها صك أتى عبداً وقد
 وهلال اطلع فانجلى من وحشتى
 دراً وشذاً مفرغاً من سلكتها
 مهج الورى بنجاتها من هلكها
 هو خاتم الأرسال وسطى سلكتها
 فاح النوافج بعد فرقة مسكتها
 شرفٍ تقر بأنهما من ملكها
 من راحتى كفرانها أو شركها
 أسرى به ليلاً مواضع نسكتها
 فمتى تقبلها شفاهى تحكها
 رغد المسرة للفضاد بضنكتها
 تعطى الموالى أمنها فى صكتها
 ما قد تراكم من سحائب حلكتها

فأنا العتيق وإن تشك النفس فى
يا منجى الحوباء من بحر الردى
شكوى غريق ذنوبه مهما شكت
ولقد أمرت بترك أسباب بها
ولئن هدمت مبانيًا مستورةً
فلقد بنيت من الرجاء مبانيًا
وجعلت حبك يا محمد أسها
صلى عليك إلهنا ما ظل أن

عتقى يمت للحين عارض شكها
ولقد غدا لولاك معطب فلکها
حوباؤه لسواك لم يشکها
تقوى الذنوب فما أخذت بتركها
بستور لطف لا سبيل لهتكها
ردت فواتك خيفتى عن فتکها
علما بأن الأس ممسك سمکها
فذكرك العطر الشذا مستنکها

ومن ذلك قوله رحمه الله :

أقول وهجرانى سيعقبه الوصل
غداة رأت عينى مثال نعال من
تمنيت لو أنى ظفرت بتربة
فأكحل عينًا أرمدت ببعاده
هو الكحل يجلو ما بعينى من قذى
فطوباك طوبى ثم طوبى وحق أن
فإنك قد أودعت رجلاً علت على
فأقسم لو توتى العمائم سؤلها

فعقد الهوى الشرعى ما أن له حل
بدا فهدى أهل السعادة إذ ضلوا
عليها مشت نعل بلاسها نعلو
وليس سوى ذاك التراب لها كحل
وكم كحل أن تكحل به العين لا يجلو
أردد طوبى ثم طوبى أيا نعل
بساط علاً لم تعله قبلها رجل
لما كان غير النعل كان لها سؤل

وناهيك من رجل مشت بمحمد
 أبو القاسم الأسمى وطئ السما
 ولو لم تطأها رجله كان للثرى
 فيا مرسلا ما فى النبیین مثله
 أنرت ظلام الجهل فالقلب نير
 فكان كمثل السيف أصبح صادئاً
 يلوح به الإيمان شكلاً لناظر
 فحق لذى عقل بأن يقطع المدى
 وما شغله إلا امتداح جلالكم
 أمولای یا مولای ألفا وبعده
 عديد الحصى والرمل بل عد ما إذا
 فحبكم كهفى الذى مذ حللته
 وسيفى السريجى الذى مذ سللته
 ورمحى الردينى الذى مذ شرعته
 وقوسى التى مذ سدّد الصدق نبليها
 فهأنأ فى ظل من الأمن قاطع
 ومن يدرى ما أدرى من افضالك الذى
 أو الأصل والافضال بعض فروع

مفضل رسل الله إنَّ عدت الرسل
 فنودى من فيها ألا خلفه صلوا
 على الفلك الأعلى بموطئها الفضل
 رسولا وهل للشمس من جنسها مثل
 محا العلم منه أحرفا خطها الجهل
 وأمسى وقد جلى مضاربه الصقل
 ولولاك لم يطلع به ذلك الشكل
 مدى غمره ما دام يصحبه العقل
 فنعم الفتى من شغله ذلك الشغل
 كذلك ألف ثم ألف له قبل
 بدا فالحصى جزء بدا منه والرمل
 إذا اشتد بى الكرب على الفور ينحل
 رأيت خطوب الجهل عنى تنسل
 صرعت به ثكلى فلا نعش الشكل
 أصابت أسى ما خاب له نبل
 على الأمن أن يتدلى ذلك الظل
 هو الباب والافضال أجمعه فصل
 وما يستوى فى الرتبة الفرع والأصل

ينم آمنا من جور دهر صروفه
محمّد يا غوثي وغيثي كلما
محمّد يا حزى^(٢) وعزى كلما
أكرّر فى أحوالى اسمك إنّّه
أما إنّّه أحدى وأيمن مجتنى
وإنّ كان فى الشهد الشفاء لمشتك
فباسمك يشفى كل قلب إذا اشتكى
وما جسد الإنسان مثل فؤاده
فبالفضل يا ذا الفضل والبذل إن عدت
أجرنى من نار ضريع طعامها
ومن أهلها العاصى أوامر ربه
أما إننى أرجو النجاة وإن تكن
فإنى قد أعددت أى ذخيرة
هواك الذى للمعضلات خبأته
ألا هكذا فليخبأ الحب مدنف
وإن يخل معمور القلوب من الهوى
وإن يعتل وقتا غرام فيختل
فكم بين من قد تيم الفضل والعلا
لبينهما ما بين وصل وقطعة

سواهر واستقضى وليس له عدل
تجهمت الأيام أو أجحف^(١) المحل
تفاقمت الأهوال أو طرق الذل
كالشهد ما كررته فى فمى يحلو
فكم مجتن للشهد تلسعه النحل
بعلة جسم أصلها الشرب والأكل
إليك بداء جره القول والفعل
فمنزل ذا علو ومنزل ذا سفلى
خطوب ولما يلف فضل ولا بذل
ومهل وما يغنى ضريع ولا مهل
وإنى لها أو يغفر الله لى أهل
ذنوبى حملا لا يطاق لها حمل
تخفف من ثقل الذنوب فلا ثقل
فمن مهجتي حق ومن غيرتى قفل
إذا ما سلا أهل المحبة لا يسلو
فما قلبه المعمور من حبه يخلو
فما حبه يعتل وقتا فيختل
وبين الذى قد تيم الغنج والذل
وهيهات ما بالقطع يشته الوصل

(١) هذا هو الصواب، والذى فى المطبوع: «أجحف» بتقديم الحاء على الجيم.

(٢) هذا هو الصواب، والذى فى المطبوع: «يا حزى» بتقديم الزاى على الراء.

وإن غرست كفهما شجر الهوى
 فيا قلبى احلل من هواك بجنةٍ
 وناد الورى إنى احتلت بجنة
 أدير بها كأسا دهاقًا وما سوى
 هى الخمر لم يتلف بها عقل شاربٍ
 ويا فكرى الرامى المصيب بنبله
 وفى قتلها عند اللبيب حياتها
 بتأليف شمل المدح فى المصطفى اشتغل
 فذاك محل للمدائح قابل
 محل يسمى فى علاه مقصرًا
 محل علا فوق السماء ولم يكن
 فقل للأديب المكثر القول فى حلى
 فضائله بحر وسجل كلامنا
 وتالله ما البحر الغطامط مشبهها
 ولكنها الأمثال تضرب للورى
 وقد ضرب الله الأقل لنوره
 أخير رسول جاء للخلق هاديًا
 وكلهم نشوان من خمرة الهوى
 فمغروس ذا شرى ومغروس ذا نخل
 بها أحتل قلب حبه ليس يعتل
 بها كل من يهوى هواى سيحتل
 سرورى بمحبوبى مدام ولا نقل
 وتلك حرام فى الكتاب وذى حل
 مقاتل أغراض أراها له النبل
 ومن أعجب الأشياء أن يحيى القتل
 يعنك على تأليفه ذلك الشمل
 إذا انحصرت فيه مدائح من قبل
 أديب وفى الأمداح من طبعه يغلو
 لأعلى محل ذلك العلو أن يغلو
 علاه: كثير القول فى مجده قل
 وليس يغيض البحر دلو ولا سجل
 فضائله أو يشبه الوابل الطل
 وليس من المشروط أن يفعل الكل
 فقال كمشكاةٍ وليس له مثل
 وقد درست سبل النجاة فلا سبل
 فمعبودهم نسر ومدعوهم بعلى

فما منهم إلا أسير ضلالةٍ ففى جيده غل وفى رجله كبل
فدلوا على سبل النجاة بنوره جميعا ولولا ذلك النور ما دلوا
فأعقب ذاك النور مدلوله حلى ففى جيده عقد وفى رجله حجل
وقفت بباب الجود والكرم الذى غمامته وطفاء وعارضه وبل
فما كرم يروق عن الجود واهبا مواهبه تترى ونائله جزل
وقيس بذا إلا وقال أولو النهى ألا إن ذاك الجود فى جنب ذا بخل
ولى حاجة عنت إليك، قضاؤها عليك بفضل الله يا سيدى سهل
زيارة أرض طيب الله تربها فما المسك مفضوض الختام لها شكل
هى البلدة الغراء طيبة التى بها ديم الرحمى مدى الدهر تنهل
فمن حل مثوى أنت فيه مخيم ويا طيب أقوام بطيبة قد حلوا
يكن آمنا من كل حزن وخيفة ويعظم له جاه ويكرم له نزل
فما داخل عدنا يخاف من الردى وتشهد آيات الكتاب الذى نتلو
ولا فرق ما بين الجنان وبينها لدى من له عقل من الناس أو نقل
وصلى عليك الله ما هبت الصبا وما كان للمُزْنِ التى أعصرت هطل

ومما له أيضاً رحمه [الله]، ملتزما تشبيه النعل المختصة بالشرف والرفعة،
وقد أبصرها مرسومة بالحبر فى رقعة:
اشفى برؤيتها يا نفسى الدنفه نعلا لرجل رسول الله مكتنفه

كَأَنَّ طَرَسًا بِهِ بِالْحَبْرِ قَدْ رَسَمَتْ بَرْدٌ مِنَ الْحَبْرَاتِ الْبَيْضِ ذُو صَنِفَةٍ

وَمَا لَهُ أَيْضًا نَفْعُهُ اللَّهُ بِهَا، وَرَسَمَ مِثَالَ النِّعْلِ الْكَرِيمَةِ إِثْرَهَا:

يَا سَائِلًا أَفْتِيهِ إِثْرَ سَوَالِهِ	عَمَّا يَرَى إِنْ يَشْكُ مِنْ إِشْكَالِهِ
تُرِّهِ سَوَادَ الْقَلْبِ وَالْعَيْنَيْنِ فِي	شَكْلِ هَلَالِ الْأَفْقِ مِنْ أَشْكَالِهِ
أَخْطَأْتُ لَسْتُ بَعَائِدَ وَلَكُمْ مَصِيبُ	بِ مَخْطِئٍ فِي الْبَعْضِ مِنْ أَقْوَالِهِ
فَالْبَدْرُ يَكْشِفُ فِي مَنَازِلِ سَعْدِهِ	وَيَصِيبُهُ النِّقْصَانُ إِثْرَ كَمَالِهِ
وَكِلَاهُمَا شَيْنٌ وَهَذَا قَدْ وَقَى	مِنْ كُلِّ شَيْنٍ بَدْرُ سِرِّ جَمَالِهِ
أَوْ لَيْسَ تَمَثَّالُ النِّعَالِ نِعَالٍ مِنْ	وَطِئَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى بِنِعَالِهِ
نَعْلٌ بِلَابِسِهَا بَأْتُ وَيَحِقُّ أَنْ	تَبْأَى بِهِ لَجَلَالِهِ وَخِلَالِهِ
فَلَقَدْ حَوَتْ رِجَالًا مِثَّتْ بِالْصَّفْوَةِ الْمِ	خَتَارٍ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَرْسَالِهِ
فَالثَّمَةُ تَمَثَّالًا لَهَا لَثْمُ امْرِئٍ	بِاللَّثْمِ يَرَوِي مِنْ صَدَى بَلْبَالِهِ
فَلَرُبَّ مِشْتَاقٍ رَأَى آثَارَ مَنْ	يَشْتَاقُهُ فَشَفَّتَهُ مِنْ أَوْجَالِهِ
أَوْ مَا تَرَى يَعْقُوبُ عَادَ بِثُوبٍ مِنْ	يَهْوَى سَنَى عَيْنِيهِ بَعْدَ زَوَالِهِ
وَهْوَى فِي مَوْلَايَ يَفْضُلُ حُبِّ يَعِ	قُوبٍ عَلَى الْمُرْوِيِّ مِنْ أَحْوَالِهِ
فَمُحَمَّدٌ هُوَ مَعْتَقَى مِنْ مَلِكٍ شَرِّ	لِكُنْتُ طَوْعَ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ
قَطَعَتْ هِدَايَتَهُ حِبَالُ ضَالَتِي	بِحَسَامِهَا الْجَالِي الرَّدَى بِصِقَالِهِ
فَغَدَوْتُ مَعْتَقَلًا وَرَحْتُ مَسْرَحًا	مَتَمَسِّكًا مِنْ هَدْيِهِ بِحِبَالِهِ
يَرْتَاحُ فِي عَدْنِ الْهَدْيِ قَلْبِي وَلَا	يَخْشَى الْإِعَادَةَ مِنْ جَحِيمِ ضَلَالِهِ

أصل النداء معرفاً بعوارفٍ
يا قوم إقرار أمرى بفضائلٍ
كنت الدليل فمذ تملك مجده
ما زال يسعى فى عزازة عبده
فأنا الدليل لأعبد ذلوا على
مولاي يا مولاي ألفا مردفا
أضعاف أضعاف الذى فى البحر من
أنا عبدك القن الذى أطلقته
فبما على لكم من الفضل الذى
إلا حملت إلى الأساة بطيبة
وأظنه والظن يصدق هاهنا
قد حل من فلك العلى الحلى
بلداً يذود المارقين جلاله
فكأنه كير نفى خبثاً^(١) وأب
أربى على أمثاله ووحقه
فالأرض مثل ذبالة وهو السنى
هو طيبة الغراء أشرف موطن
حرم متى ما حله ذو خيفةٍ

(١) هذا هو الصواب، والذى فى المطبوع: «خبثاً» بالشين المهملة. والخبث ما ينفى الكير من الحديد ونحوه عند إحمائه وطرقه. وفى الحديث: «إِنَّ الْحُمَّى تَنْفِي الذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ الْخَبْثَ».

أمر الملائك بالدعاء لأهله وأرى ثراه من لأجل سنه خر ونجا ابن لامك فى السفين إذ استوى ونجا ابن آرز من لظى الإشراك إذ وفدى ابن هاجر حين تل وإنه واحتل إدريس مكاناً فى السما والمرء يخلق من ثرى القبر الذى هذا حديث صح عنه لدى الألى ولذلك قال بفضل طيبة مالك إذ لا تراب أجل من تراب نشأ فنهك يضحى الجسم متصلاً بمن أسعد بمجتمعين فى دار بها مولاي إن لم تُؤت عبدك سؤله لا عتب بل عتبى فما هو صالح لكن سنة سيدى فى عبده والصفح عن زلاته وكو أنها ومتى يجد فالغيث إلا أنه ومتى يجر فالليث إلا أنه

أهل الفخار نسائه ورجاله الملك للمخلوق من صلصاله ماء الردى بسهولة وجباله نال الذى قد نال من تمثاله لمسلم لأبيه فى أفعاله أسمى، منال النجم دون مناله سيكون منطبقاً على أوصاله نظموا عقود مقالاه وفعاله وهو الإمام المقتدى بمقاله منه حبيب الله من أرساله أشجاء وهو القلب يوم فصاله شخص الذى قنعا بطيف خياله ورددت خائبةً يمين سؤاله بك للذى قد ساء من أعماله إسعافه ما دام من سؤاله كالرمل عدا فى جميع رماله عم الخليقة كلها بنواله يضحى المजार لديه من أشباله

فالخائفون المعسرون مؤمنون ن وموسرون بجاهه وبماله
هذى خصال من خصال جمّة ومن الذى يحصى شريف خصاله
صلى عليه إلهنا من مرسل وجد الوجود الخير فى إرساله

ومما له أيضاً تقبل الله منه ، ولا صرف وجه وقايته بمنه وكرمه عنه :

خذ يا صاح خذ	تمثال نعل قد حذى
على نعال أحمد	منجى الأنعام المنقذ
السيد المختار من	قبيلة وفخذ
ذى الطول ذى الفضل الذى	حلاه لا تحصى بذى
وانظر إليه نظرة	يجلى بها طرف قذى
وقبلنه دائماً	تقبيل ذى تلذذ
وقل إذا قبلته	ذى قبل تلذذ
وناده يا سيّداً	بغيره لم ألد
شكوى محب ما درى	غير الهوى من مأخذ
رمى بنبل للنوى	صوائب لم تشحذ
لكنها مهما رمت	بها قُلَيْبِي ^(١) تنفذ
فقلبه من رشقها	كمثل جلد القنفذ
وقد رجوت والرجا	نهجى الذى قد أحتذى

(١) هذا الصواب من سائر النسخ ، والذى فى المطبوع : «فليس» .

إدالتى بالقرب من	هذا النوى المستحوذ
وبالجلال النبوى	الهاشمى تعوذى
من أن يضيع لى هوى	به فؤادى يغتنى
فيا فؤادى بالعرا	أفعى المخافة انبذ
وإن تشر ^(١) للسع من	زمرد الدجى خذ
وأره لمقلتـيـ	هاكى تسيل ذى وذى
فذاك من الأفاعى من	عوائد الزمرد

ومما له أيضاً رحمه الله تعالى :

يا مغرماً برسول	لك يخلق الله مثله
هذا مثال نعال	شراكها ضم رجله
أشرف بهائم أشرف	نعلاً تماثل نعله
فَقَبِّلَنَّ فيه مثلى	تقبيل صب موله
لرب شاكى اشتياقٍ	نال الشفاء بقبله
يا رب أشكوك شوقى	والشوق أعضل عله
فقرب الدار ممن	أبنت فى الرسل فضله
فهو الذى بنواه	فؤاد عبـدك وله
صلى الإله عليه	من شارع خير قبله

(١) هذا هو الأنسب، والذى فى المطبوع: «تسر» بالسین المهملة.

وفاسخ كل حكم وناسخ كل مله
ما حرك الوجد قلبا وأرق البعد مقله

ومما له أيضاً تقبل الله عمله ، وبلغه أمله :

انظر إلى هلالا	فاق البدور جمالا
أستغفر الله ربي	فقد أفكت مقالا
فالمحق ليس مصيبي	وقد يصيب الهلالا
لكن حكيت نعالا	لسيد قد تعالى
شأى النبيين جاها	وحظوة وخلالا
فإن شكوت بشوق	فـؤادك الصب نالا
فلتثمنى فلتثمنى	يشفى اشتياقا توالى
نعم لثمتك شوقا	لما حكيت النعالا
ومن يظن بنعل	شغفت ظن المحالا
بلايس النعل همنا	ومنه نبغى الوصالا
يا رب يشكوك قلبى	يشكوك صادا ودالا
فقرب الدار ممن	برأت فـاء وذالا
فمألأحمد ندرى	فى المرسلين مثالا
هذا وإن كان منهم	والكل حاز الكمالا

ففى السما نيراب	وكلها يتلالا
وليس منها مضاه	للمشمس فى النور لالا
صلى عليه إله	به أزال الضلالا
ما لحق الجزم فعلا	أو لزم النصب حالا
ثم سلام عبيد	ما إن عن الرق حالا
يخص مولى كريمما	عم العبيد نوالا
وآله خير آل	إن عدد الخلق آلا
ما أطلع الأفق شمسا	وأنشأ الجو آلا

ومن قوله أيضاً رحمه الله وهى من أول ما قاله :

بكيت وقد رأيت مثال نعله	بكاء هو عن الأحباب وَّله
وما حب النعال أسال دمعى	ولكن حب من كرمتم برجله
محمّدا الرفيع القدر أعنى	حبيب الله أحمد خير رسله
عليه السلام ذى مقّة مشوق	إليه ظل معتصما بحبله
مدى افتخرت سموات وأرض	على حر الخدود بوطء نعله

وله رحمه الله قصيدة مطولة، نحا بها منحى رائية أبى الربيع بن سالم،

وهى :

تبدت لنا والشوق يقدح زنده
نعال رسول الله أشرف بنعل من
وإلا تكن نعل الرسول فإنها
فيا ناظرا منها حديقا تعاهدت
فلله ما أذكى وأطيب نفحه
وأطلع شوق الحب بدرا بهاره
على الفور قبل فيه تقبيل فاخر
ونزه به طرفا جفا النوم جفنه
فربت ذى وجد رأى أثرا لمن
أمولاي يا أعلى النبيين منزلا
نداء عبيد أضرم الشوق وجده
وإن الهوى مالم يبن لكخمرة
بحق هوأى المحض فيك الذى متى
أنلى ما أبغيه منك وإنه
بأشرف جثمان لأشرف روح من
هو المجد لا مجد يماثله وهل
سكرت وما خمري سوى حبه ومن
فيا طيبة الغراء أسعد منزل

بقلب شج لا وجد يشبه وجده
قد اختص بين الرسل بالسر وحده
مثال وكم ندّ يذكّر نده
عهد الحيا تروى رباه ووهده
إذا حركت ريح الصبابة رنده
وشمسا تروم الغروب فى الصيف ورده
بمولى أعز الله فى الخلق عبده
ومرغ به خدا دم الجفن حده
له وجده يوما فأطفأ وجده
لدى الله والمختص بالفضل عنده
فباح بحب أبرم الصدق عقده
بعنقود والسقط لازم زنده
يقس بهوى فى الدهر ألفى وحده
زيارة قبر شرف الله لحده
وقى الله مما يوهن المجد مجده
يمائل صفح السيف فى القطع حده
حسا خمر هذا الحب لم يخش حده
تود النجوم الزهر تنزل وهده

أَلَا فَاحْمِلِي بِنْدَ الْفَخَارِ وَحَقَّقِي
 وَنَوِّطِي عَلَى جِيدِ الْعَلَا عَقْدَهُ تَرَى
 بِأَعْضَاءِ مَخْتَارٍ مِنَ الْخَلْقِ مَرْسَلٍ
 بِهِ نَسَخَتْ أَدْيَانُ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ
 بِهِ شَادَ أَبْرَاجَ الْعَلَا اللَّهُ رَبَّهُ
 وَرَدَ بِهِ عَنَا الرَّدَى وَهُوَ مَقْبَلُ
 رَسُولٍ عَلَى الْأُرْسَالِ فَضْلُهُ الَّذِي
 وَإِنْ كَانَ رَسُلَ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِمْ
 حَكُوا سُورَ الْقُرْآنِ نُورًا وَحِكْمَةً
 وَفِي الْحَمْدِ مَا فِيهَا مِنَ الشَّرَفِ الَّذِي
 وَحَسْبُكَ أَنْ يَبْدَأَ وَيَخْتِمَ قَارِئٌ
 كَذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ أَوَّلُ آخِرِ
 أَمْوَالِي ذَا قَصْدِي إِلَيْكَ وَأَنْتَ مِنْ
 فَيَا طَيْبَ عَبْدٍ وَاصِلِ أَرْضِ طَيْبَةٍ
 مَعَاهِدِ أَمْسَى الْأَنْسِ مِنْهَا بَظْهَرِهَا
 وَأَصْبَحَ مَنْقُولًا إِلَى بَطْنِهَا فَيَا
 سَعِيدَ صَعِيدٍ مِنْهُ أَنْشَى أَحْمَدُ
 فَكَانَ كَمَثَلِ الْوَرْدِ فَارِقَ وَرْدِهِ
 بِأَنْكَ قَدْ شَرَفْتَ بِالْحَمْلِ بِنْدَهُ
 مَشْرِفَةً أَيْضًا بِذَلِكَ عَقْدَهُ
 إِلَيْهِمْ بَدِينِ أَوْثَقَ اللَّهِ عَهْدَهُ
 وَلَا دِينَ يَأْتِي الْخَلْقَ لِلْحَشْرِ بَعْدَهُ
 وَثَلْ بِهِ عَرْشَ الضَّلَالِ وَهْدَهُ
 وَمَا كَانَ لَوْلَا جَاهُهُ لِيُردَهُ
 حَبَاهُ بِمَا لَا يَبْلُغُ النُّطْقُ عَدَهُ
 وَسَلَمَ مَا ضَدَّ يَنْفِرُ ضَدَّهُ
 فَأَحْمَدُ قَدْ أَضْحَى مِنَ الرُّسُلِ حَمْدَهُ
 يَبِينُ لِمَهْدَى مِنَ النَّاسِ رَشْدَهُ
 بِهَا وَمَصْلَ فَرَضِهِ ثُمَّ وَرْدَهُ
 لَهُ الْمَنْزِلُ الْأَعْلَى الَّذِي لَنْ نَحْدَهُ
 يَبْلُغُ ذَا الشُّوقِ الْمَبْرَحَ قَصْدَهُ
 يَمْرُغُ فِي تِلْكَ الْمَعَاهِدِ خَدَهُ
 لَذَى وَحْشَةٍ قَدْ قَرَّبَ اللَّهُ بَعْدَهُ
 وَجَاهَةً بَطْنِ قَدْ وَعَاهُ وَسَعْدَهُ
 وَفِيهِ الَّذِي أَنْشَأَ بِهِ الْفَضْلَ رَدَهُ
 لِمَنْفَعَةٍ مَا ثُمَّ عَاوَدَ وَرْدَهُ

أخير كريم ليس تطرق آفة
عليك وأنت السيد العلم الذى
بل العالم الإنسى عموما ومنهم
هى الأمة العليا التى هديت ومن
صلاة وتسليم ورُحْمَى مدى انتمى
عديد صنوف الخلق علوا وأسفلا
ولست مجيزا أن أضيف إلى كذا
شمس الضحى كالمسك كالقطر لم ينط
أجاعل تشبيهى حقيقة التفت
فشمس الضحى المسك والقطر عابها
بكسف وإمساك وهذا دليله
وتلك التى شبهتها سلمت سنى
صلاة وتسليما ورحمى على الذى
على العروة الوثقى على القمر الذى
على منقذ الإنسان من حفر الردى
على من له الخلق العظيم على الذى
على من له المجد الصميم على الذى
على أحمد المعروف فى ظهر آدم

فتى حبه للطارقات أعده
أفاد الثنا فهر^(١) السنى ومعه
خصوصا فريق أكمل الله جده
أريد به خير من الخلق يهده
لك الفضل يا فذَّ الوجود وفرده
صموتا وذا نطاق جمادا وضده
بعدى فيأتى ما لسانى حده
به برقه الأفق الصقيل ورعه
غلطت فللباب المجازى رده
أخو النقد والبرهان يعضد نقده
على ذاك الإيضاح لم يتعده
فجاءت كما شاء الكمال ووده
سنى وحى ذى العرش المجيد أمله
على الخلق ظل الأمن والمن مده
ولولا سناه كان فيها يدهده
أبان جميع الرسل والكتب جده
به شرف الرحمن آدم جده
بترديده شكر الإله وحمده

(١) هذا الصواب من سائر الأصول، والذى فى المطبوع: «بهر» وهو يعنى بذلك فهرًا، وهو

أنسب لمعد، فكلاهما من أجداده ﷺ.

على مجتبی قد نور الله قلبه على مصطفى قد طهر الله برده

له المعجزات اللائِ لحن لطرف من
فمنها انشقاق البدر ثم نزوله
ومنها حنين الجذع بالمسجد الذى
ومنها طلوع القرص بعد غروبه
ومنها سقوط السيف من كف غورث
ومنها انفجار الماء من بين أنمل
إلى أن روى منه الخميس فيا له
ومنها نماء التمر حتى قضى به
ومنها كلام الشاة تنهى عن أكلها
ومنها كلام الضب والجمل الذى
وكيف موالیه يريدون نَحْرَهُ
ومنها البعير المبطى السير ساطه
إلى غيرها من معجزات بواهر
تكاثر رمل الأرض عدا ونبتها
وتزرى سنى بالنيرين توصلا

نفى نومه سعد وأثبت سهده
رآه الذى التوفيق وافق رصده
بطيبة لما آتس الجذع فقده
وما بسوى دعوى دعاها استرده
وقد كان مقدام الضلال ونجده
تقسم فى أبناء آدم رفده
خميسا أطاب الله ذو الفضل ورده
ديون أبيه جابر حين جده
فلم يبلغ السمام بالسم قصده
شكا كده الموهى قواه وجلده
ولما يرعوا فيه بالأمس كده
فما وخذت من بعد ذا النجب وخذه
فضحن عدوا باغيا رام جرده
وتفضل سلك الدر حسنا وعقده
من الفلك المجلو بالصحو كبده

ومما به قد خصه الله رحمة
 صحابته الغر الألى سعدوا ففى
 هم نصروا دين الهدى بسيوفهم
 وأولهم سبقا وحيدهم حلى
 مقربه محبوبه مصطفىاه من
 خليفته فى المسلمين الذى له
 ميمم ضلال اليمامة غازيا
 فما سلم الكذاب منها رئيسهم
 أقاويله الزورية اللاء قد دجت
 مقاتل أهل الردة الرجس الألى
 أبو بكر الصديق أصدق صاحب
 وفضلا وفخرا قد قضى الله خلوده
 قلوبهم قد أسكن الله وده
 كما خذلوا نسر الضلال ووده
 وأوجههم عند الإله وعنده
 جميعهم لا خلق يعلم نده
 مناقب عود الطيب تنسى ونده
 ليروى دما قضب الحديد وملده
 مسيلم خنزير الضلال وقرده
 ورأس الدجى لا شك بالنور يشده
 نحو سد باب حرم الله سده
 وأبدلهم فى نصرة الدين جهده

وثانيهم الموصوف بالشدة التى
 ملاقى خطوط الدهر منه بعزيمة
 مكسر كسرى الفرس واضع تاجه
 مقصر أعمار القياصر بالقنا
 مواصل أسباب الهدى الندس الذى
 أميرهم فاروقهم عمر الذى
 بها دينه قوى الإله وشده
 تحل من الخطب الكريه أشده
 مقلبه بالعود يظهر زُده
 مددن وبالصمصام مزق غمده
 عن الحق ما شىء من الدهر صده
 مدى العمر لم يفرق من الأمر آده

وثالثهم ذو الهجرتين الفتى الذى
مجمع ما فى الذكر من سور ومن
مجهز جيش العسرة الفاضل الذى
فذلك عثمان الشهيد بداره
أبو عمرو المعمور قلبا بذكر من
فسبحت الحصباء فى كفه كما
شكا هجره شخص النعيم وصده
متى رد داع قد دعا يرده
تردى رداء غيـره لم يرده
بسيف شقى فى لظى يتدهده
له من ضروب الصخر أنطق صلده
أتى فى حديث أكثر الناس سرده

ورابعهم من ألبسته يد العلا
ووشحه إيمانه وجنانه
تسمى لتفريق الفقار به بذى الـ
هو السيف لم تجل الصياقل صفحه
تزوج بنت الموت بكرا صداقها
وليس سوى الأرواح أشركن بالذى
ومن جنة الفردوس كان خروجه
فيا عظم ما أبلى به فى مواطن
إمام همam قاسر كل قسور
به فتح الرحمن خَيْبَرِ عنوة
وكان رسول الله قال لأعطين
أجل قميص للعلا وأجده
أجذ حسام للطللى وأحده
فقار فما أفرى وأقطع حده
ولا رقت أيدي القيون فرنده
أجل صداق أحكم الحب عقده
براهن ما أكلا وعجل نقده
لهذى وتلك الدار كانت مرده
تشيب رأس الطفل لم يعد مهده
ومدركه لو كانت الريح نهده
وسد به ما قبله لم يسده
غدا راية الفتح المبين وبنده

فَتَى وَدِه خَلَاقَه وَأَوْدِه
فَلَمْ يَكْ يَعْطَاهَا سِوَاه كِرَامَةِ
وَقَدْ كَانَ مَشْدُودَ الْمَحَاجِرِ أَرْمَدَا
فَهَبْ هَبُوبَ الرِّيحِ قَسُورَ جَحْفَلِ
وَبِالْبَابِ بَابَ الْحَصَنِ يَسْرَاه تَرَسْتِ
هُوَ الْآيَةُ الْعَظْمَى الَّتِي طَفِئَتْ بِهِ
وَمَنْ كَانَ مَوْلَاهُ الرَّسُولُ فَإِنَّهُ
أَبُوهُ الَّذِي رَبَّى النَّبَى وَلَمْ يَزَلْ
مَتَى خَاصَمْتَ فِيهِ قَرِيشَ تَلْقَهُمْ
وَمَنْ قَوْلُهُ فِيهِ يَعْظُمُ شَأْنُهُ
وَأَبْيَضُ يَسْتَسْقَى الْغَمَامَ بِوَجْهِهِ
فِيَا حَسْرَتَا إِنْ مَاتَ لَمْ يَجْنِ زَهْرَةٌ
وَلَكِنَّهَا الْأَقْدَارُ تَنْفِذُ بِالَّذِي
فَيْنَايَ الَّذِي أَدْنَى وَيَدْنَى الَّذِي نَأَى
وَنَجْلَاهُ سِبْطَا الْمُصْطَفَى السَّيْدَانِ مِنْ
جَيْبَاهِ فِي الدَّارَيْنِ رِيحَانَتَاهُ لَمْ
وَأُمَّهُمَا مِنْ أَحْمَدَ بَضْعَةٍ وَمِنْ
أَفَاطِمَ لَمْ يَبْلُغْ نَصِيفُكَ فَاضِلُ

كَمَا وَدَنَا وَاللَّهُ يَنْصُرُ وَدِهَ
بِهَا اخْتَصَه مِنْ شَدِّ بِالْعُضْدِ عُضْدَه
فَفَتَحَ رِيقَ الْحُبِّ مَا الدَّاءُ سَدَه
تَوَلَّى بِهِ رَبُّ الْبَرِيَّةِ عُضْدَه
فَلِلَّهِ مِنْهُ قَسُورٌ مَا أَشَدَّهُ
مَنْ الْكُفْرِ مَا قَدْ أَضْرَمَ الْجَهْلُ وَقْدَه
كَذَلِكَ مَوْلَاهُ فَطُوبَاكَ عَبْدَه
لَهُ حَامِيَا فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ جَهْدَه
خَصِمَ اللِّسَانَ الْهَاشِمِيَّ مِلْدَه
وَيَنْشُرُ مَا الرَّحْمَنُ أَوْدَعَ مَجْدَه
ثَمَالَ يَتِيمٍ كَدَرَ الْيَتِيمَ وَرَدَه
قَدْ ابْرَزَهَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَه
نُودَ وَقَدْ تَجَرَّى بِمَا لَنْ نُودَه
وَكُلُّ بَعْلَمٍ يَجْهَلُ الْعَبْدَ قَصْدَه
بَنَى الْمَجْدَ لَا ضَيْمَ يَنَالُ مَعْدَه
يَزَلُ مِنْهُمَا يَسْتَنْشِقُ الْوَرْدَ وَرَدَه
يَكُنْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ جِزْءًا يَمْدَه
مَنْ الْخَلْقِ لَمْ يَبْلُغْ أَوَّلُو الْفَضْلِ مَدَه

فيا صاح قل لا مجد يشبه مجده وصوتك مهما قلت لا فلتمده
أبو الحسن الأسمى على العلا الذى مو البحر لم يدرك يد الجزر مده

وخامسهم بحر الندى الأسد الذى يبذ ليوث الباس أيدا وأسده
مفدى رسول الله بالوالدين إذ ملا قلبه المغسول بردا وكبده
وبشر من قد حز بالسيف رأسه لئيم زمان كان فيه ووغده
بنار لها غيظ على كل قاتل فما أردى وأشأم عمده
حواريه من قد حوى زيه سنى سنى العلم بالرحمن كان مده
أبو عابد الله الزبير الذى امتطى مطهمة المجد الأثيل وجرده

وسادسهم ذو الجود والسودد الذى يعد الصدى للهفان للغوث عده
موقى رسول الله بالكف جودها يحل من العيش المهنا رغده
فشلت وقد سلت من الهند مرهفا محلى صقيلا أكسب الفخر هنده
فطوبى لها اليمنى جنت ثمر المنى وقد حليت قلب النعيم وقلده
فقل طلحة ذو المجد طلع ثنائهِ^(١) لسان بيان الشرع أحكم نضده

وسابعهم ذو الفضل أقصد سالك أدل طريق للهدى وأسده
ومفرغ قطر الزهد يجعل بينه وما بين يأجوج الزخارف سده

(١) هذا الصواب من سائر النسخ، وفى المطبوع: «ثقاية».

أمير أولى الإيمان عامرهم أبو عبيدة ذو الخير الذى لن نعهده

وثامنهم ذو المجد فى المال والتقى
ملا ذكره بطن السماء وماله
وكم بات لم يطعم وأطعم غيره
معمم خير الرسل فاتح دومة
فذاك ابن عوف مقلة المجد طرفه
فلله ما أجدى وأبرك وجده
ملا بطن هذى الأرض غورا ونجده
وقام ولم يترك من الجوع ورده
كما ود خير المرسلين ووده
أجل فتى يثنى عليه ويمده

وتاسعهم ذو الرمى بالنبل والدعا
له السيرة الحسنى له النجدة التى
فعوضهم من عيشهم واعتزازهم
فكم فرس قد راح أشهب واغتدى
وكم فارس من فارس بشماله
فيا بن أبى العاص انك واقص
ويا سعد يا خال النبى لقد سمت
فمن يرم من قوس وفيه يؤده^(١)
رمت فارس الكفر الصراح وكرده
بموت وذل يعذب الموت عنده
من الدم يحكى أشقر اللون ورده
عنان فقدت منه يمناه ندّه^(٢)
من الكفر جيلا أوجب الله طرده
فروع نجار ثابت كنت سعه

وعاشرهم ذو النسك كالمسك ذكره
فتى المكرمات الأكرم الماجد الذى
سعيد ولا سعد يماثل سعه
يزيزن جمع المجد طرا ووفده

(١) هذا الصواب من سائر النسخ، والذى فى المطبوع: «يوده».

(٢) هذا الصواب من سائر النسخ، والذى فى المطبوع: «قده».

سلالة زيد الفجر أرشد مهتد عن الشرك جد سابق قد أصده

قال رسول الله ﷺ:

يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده.

ومما به أيضاً حبا الله أحمدا	وعزز ذا الدين العزيز وجنده
ذوو المجد عماه وجعفر الذى	ملائكة الرضوان وارته لحده
فحمزة ليث الله لا ليث غابة	يصادره إن هاجت الحرب حرده
له الفتكات البيض سودت العدا	وزادت سنى بدر الجهاد وأحده
وكان إذا ما قارب الطرف وامتنى	قراه بريش الرأل يعلم برده
ولا برد إلا نثرة عربية	لأمثالها داود قدر سرده
فيرعد منه القرن حتى كأنما	به نافض قد قرب الروع ورده
إلى أن أراد الله منه شهادة	تبوئه عدن الجزاء وخلده
على يد أشقى الزنج راميه قدرة	بحربته شل المهيمن زنده
فنادى الذى قد ألحف الذنب قلبه	بأسود مما ألحف الرب جلده
بقتلك يا وحشى سامى سامها	أصاب سواد الجلد حاما وولده

وعباس العم الأعم مكارما	تقصر من فخر الكرام أمداه
أبو خلفا ساقى الحجيج أجل من	به يصرف الصرف الجليل وينده

(١) الذى فى المطبوع: «جرده» بالجمع، والمثبت من سائر الأصول وهو أنسب.

وجعفر الطيار ذو المشهد الذى
محمر رايات الهدى بدم العدا
مقدم يمناه ويسراه قربة
وأمسك بالعضدين بعدهما اللوا
ملائكة الرحى غدت فيه شهده
بنى الأصفر الأسد الألى لم يدهدهوا
إلى منزل فى دار عدن أعده
لواء الهدى يبغى من الله عضده

وبعدهم الأنصار والكل أنجم
بهم خضد الإشرار شرقا ومغربا
ذوابلهم قضبان بان نواعم
تصيب قلوب الشرك طعنا كأنها
وإلا فبين الشرك حقد وبينها
وأسيافهم زرق رقاق كأنها
ذكور ويعروها المحيض كأنها
فيا معشر السادات والكل منكم
كأن عداة الدين زرع محطم
فأقررتم عين الرسول وحسبكم
قد أطلعها مولاه تكلاً مجده
ولولاه ما كان أعوص خضده
قد أنبتن سوسان الحديد وورده
يحب القضا الجارى فتقصد قصده
فتطلب منه موضعاً ضم حقه
نطاف بها قد عين الموت ورده
إناث ولا غسل عليهن بعده
يرى الصبر فى نصر الهدى هو شهده
توليتهم بالبيض والسممر حصده
بذا قرة تهدى إلى الطرف برده

ولله من أزواجه أمهاتنا
وأكرمهن الدرة الفضة التى
فرائد علاء قد اشربن وده
بها زين المجد المؤئل عقده

خديجة ذات الجاه إن ينشد امرؤ
لها الأثرُ المحمود والأثرُ التي
بنو المصطفى ما دون إبراهيم الذى
بنوها وكل أشـمس وأهـلة
وفيهـا رسول الله قال مكرما
ألا إنها كانت تزور خديجة
فبشرها جبريل عن ربها بما
به الله فى أمر تقبل نشده
متى مر عرف الطيب عنه ترده
رداه رداء الصبر بالثكل قده
كوامل رسم الفخر حازوا وحده
خليلتها والدمع يخضل خده
ومن خلق ذى الإيمان يحفظ عهده
لها الله فى دار النعيم أعده

وعائشة بنت الحبيب عتيق الـ
فريدة نسوان الوجود مناقبا
عليمة أهل العلم التي
مصدق إيعاد الرسول ووعدده
متى يبل ذكر صالح تستجده
جلت سدف الجهل المضل وسده

وحفصة ذات الصيت والمنصب الذى
مواصلة الأوراد والصوم دائما
هو الطود لا ترقى السوابق مهده
مواصلة القلب الموحد عقده

وفذة مخزوم جلالا مبلغا
قصى المنى فى المنزلين معده

وزينب ذات الطول والطول أنملا
مواهبها تنسى الغمام وعهده

وزينب ذات الفضل بنت خزيمة لقد وصلت بالجود ما البخل جده

وسودة ذات السودد العد والتقى متى صد عن قلب تقى لم يصدّهو

وميمونة الميمونة البرة التي لها الفضل لم ترق الفواضل نجده

وبنت حُيٍّ ربة الصون والحيا صفية من أصفى لها السعد وده

ورملة رمل الأرض يمكن عده لنا والذي خصت به لن نعهده

وجارية العليا جويرية التي تقد سناما أختها لم تقده

هنا منتهى الأزواج والكل أشمس سناها أسداف الجهالة يشده

وما رى من ترّب لمارية التي هواها له لا صرد يشبه صرده

سرية سرياته أى منزل يرقى من الطود الفخارى فنده

فسرية الإنسان تسمو بمن لها تسرى وهذا المجد تعلم جده

وإن لم تكن أما لنا فهي أم من لفقدانه أبدى حبيبك وحده

حبيبي حبيبي فطرة وشريعة
مدحتك والأزواج والصحب والألى
فعاد مجلى كل فخر قدامس
هو المدح ما كررته زاد طيبه
فصله أيا فكرى لعلك بالغ
ولازم جناب المجد ذا المجد مادحا
ولا تطلبى يا نفس غير شفاعه
وعافيه شهبانها كلما عرا
وقمع عداة لم يخافوا إلههم
مذاهبهم ظلم العباد فإن يقل
وعبدك بالإيثار دان فلم يكن
فعم بهذا الخير كل موحد
وسلم رب العرش بدءا وعودة
سلاما أيضا هي هدى من قد ذكرته

قد احكمنا من حبل حبي مسده
بقربك شهب الفخر أجروا وورده
سكيتا تولى القرد بالسوط جلده
فينسى مشور الأرى طعما وقنده
من البحر ذى الماء الروى العذب ثمه
ودع جانبها هند الجمال ودعده
ووصل كريم لا أحاذر صده
بلاء تولت عن جنابى لهده
فباروا ذئاب الفقر ضرا وعقده
لهم ناصح كفوا عن الظلم يزدهوا
ليختص دون الغير بالخير وحده
هواك لديه خير علق أعده
عليك أيا فذَّ الوجود وفرده
وتصليّة جاءت كذلك بعده

انتهى ما أردت جلبه من كلام هذا الإمام فى تمثال نعل المصطفى عليه
الصلاة السلام.

قلت: وقد اعتنى الناس والأئمة بتمثال النعل الكريمة، وكيف لا، وحقّ على كل مؤمن أن يفلى لمشاهدته الفلا، فإذا شاهدها قبلها ألفا وألفا، وتوسل بصاحبها إلى الله الكريم زلفى، ولثم ثراها لثما، وأزاح به عن نفسه حوبا وإثما، وجعلها فوق رأسه تاجا، واستغنى بالتوسل بمن لبسها فلم يك إلى غابر الدهر محتاجا. وقد أفردوا أبو اليمن بن عساكر بالتأليف وصنف فيها جزءا مفردا، وكذلك أفردا بالتأليف أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن خلف السلمى الشهير بابن الحاج من أهل ألمرية وكذا غيرهما.

ومن بعض ما ذكر فى فضلها، وجرب من نفعها وبركتها، ما ذكره أبو جعفر أحمد بن عبد المجيد، وكان شيخا صالحا ورعا قال: حذوت هذا المثل لبعض الطلبة، فجاءنى يوما فقال لى: رأيت البارحة من بركة هذه النعل عجبا، أصاب زوجى وجع شديد كاد يهلكها، فجعلت النعل فى موضع الوجع، وقلت: اللهم أرنى بركة هذا النعل، فشفاه الله للحين.

وقال أبو إسحاق: قال محمد أبو القاسم بن محمد: ومما جرب من بركته أن من أمسكه عنده متبركا به كان له أمانا من بغى البغاة وغلبة العداة، وحرز من كل شيطان مارد، وعين كل حاسد، وإن أمسكته المرأة الحامل يمينها وقد اشتد عليها الطلق، تيسر عليها أمرها بحول الله وقوته.

ولله در الإمام الشيخ أبى اليمن بن عساكر رحمه الله حيث قال:

يا منشدا فى رسم ربع خالى ومناشدا لدوارس الأطلال
دع ندب آثار وذكر مآثر لأحبة بانوا وعصر خالى
والثم ثرى الأثر الكريم فحبذا أن فزت منه بلثم ذا التمثال

أثر له بقلوبنا أثراً لها
قبل لك الإقبال نعلى أخص
ألصق بها قلبا يقلبه الهوى
صافح بها خدا وعفر وجنة
تشفيك حر جوى ثوى بجوانح
يا شبه نعل المصطفى روى الفدا
هملت لمراك العيون وقد نأى
وتذكرت عهد العقيق فناثرت
وصبت فواصل الحنين إلى الذى
أذكرتنى قدما لها قدم العلا
أذكرتنى من لم يزل ذكرى له
لو أن خدى يحتذى لمثالها
ولها المفآخر والمآثر فى الدنا
أو أن أجفانى لوطء نعالها
شغل الخلى بحب ذات الخال
حل الهلال بها محل قبال
وجلا على الأوصاب والأوجال
فى تربها وجدا وفرط تغال
فى الحب ما جنحت إلى الإبلال
لمحكك الأسمى الشريف العالى
مرآى العيان بغير ما إهمال
شوقا عقيق المدمع الهطال
ما زال بالى منه فى بلبال
والجود والمعروف والإفضال
يعتاد فى الأبكار والآصال
لبلغت من نيل المنى آمالى
والدين فى الأقوال والأفعال
أرض سمت عزا بذا الإذلال

وما أحسن قصيدة نسبها الشيخ أبو إسحاق بن الحاج، للأديب العلامة
أبى الحكم مالك بن المرحل، رحمه الله تعالى، وهى قوله:

بوصف حبیبی طرز الشعر ناظمه
 رءوف عطوف أوسع الناس رحمة
 له الحسن والإحسان فى كل مذهب
 به ختم الله النبیین كلهم
 أحب رسول الله حبا لو انه
 كأن فؤادى كلما مر ذكره
 أهيم إذا هبت نواسم أرضه
 فأنشق مسكا طيبا فكأنما
 ومما دعانى والدواعى كثيرة
 مثال لنعلى من أحب حديثه
 أجر على رأسى ووجهى أديمه
 أمثله فى رجل أكرم من مشى
 أحرك من خدى أحسب رفعه
 ومن لى بوقع النعل فى حر وجنتى
 سأجعل فوق الترائب عودة
 وأربطه فوق الشئون تيممة
 إلا بأبى تمثال نعل محمد
 يود هلال الأفق لو أنه هوى

وغنم خد الطرس بالنقش راقمه
 وجادت عليهم بالنوال غمائمه
 فآثاره محبوبة ومعالمه
 وكل فعال صالح فهو خاتمه
 تقاسمه قومى كفتهم مقاسمه
 من الورق خفاق أصيبت قوادمه
 ومن لفؤادى أن تهب نواسمه
 نوافجه جاءت به ولطائمه
 إلى الشوق أن الشوق مما أكاثمه
 فهأنأ فى يومى وليلى لاثمه
 وألثمه طورا وطورا ألاممه
 فتبصره عينى وما أنا حاله
 على وجنتى خطوا هناك يداومه
 لماش فوق النجوم براجمه
 لقلبى لعل القلب يبرد جاحمه
 لجفنى لعل الجفن يرقأ ساجمه
 لطاب محاذيه وقدس خادمه
 يزاحمنا فى لثمة ونزاحمه

وما ذاك إلا أن حب نبينا يقوم بأجسام الخليفة لازمه
سلام عليه كلما هبت الصبا وغنت بأغصان الأراك حمائم

وللشيخ أبى بكر أحمد بن الإمام أبى محمد عبد الله القرطبى فى
ذلك :

ونعل خضعنا هيبة لبهاؤها وأنا متى نخضع لها أبدا نعل
فضعنا على أعلى المفارق إنها حقيقتها تاج وصورتها نعل
بأخمص خير الخلق حازت مزية على التاج حتى باهت المفرق الرجل
معانى الهدى عنها استنارت لمبصر وإن بحار الجود من فيضها تحلو
سلونا ولكن عن سواها وإنما يهيم بمغناها الغريب وما يسلو
فما شاقنا مذ راقنا رسم عزها حميم ولا مال كريم ولا أهل
شفاء لذى سقم رجاء لبائس أمان لذى خوف كذا يحسب الفضل

ورأيت فى بعض تماثيل النعل الكريمة مكتوبا بطرفها الشريف ما نصه :

مثال نعل الرسول خذه بحسن القبول
ففضله ليس يحصى لدفع كل مهول

وفى وسطها ما نصه :

أمرغ فى المثال بياض وجهى فقد عقد النبى لها قبولا
وما حب المثال شغفن قلبى ولكن حب من لبس المثالا

ورأيت مكتوبا بدائرتها ما نصه :

ما كان هذا المثل الكريم في دار فسرت ، ولا في سفينة فغرقت ، وفيه
خواص عجيبة . انتهى .

وقد حكى غير واحد أنَّ سراج الدين سيدى عمر الفاكهاني شارح
العمدة والرسالة ، لما أبصر تمثال النعل المطهرة أغمى عليه ساعة ثم أنشد حين
أفاق متمثلا :

ولو قيل لمجنون ليلي ووصلها تريد أم الدنيا وما في زواياها
لقال غبار من تراب نعالها أحب إلى نفسي وأشفى لبلواها
وقد ذكر أنَّ السراج الفاكهاني لما احتضر أغمى عليه ساعة ، فلقنه بعض
من حضره ففتح عينيه وأنشد :

وغدا يذكرني عهدا بالحمى ومتى نسيت العهد حتى أذكره
ثم أدخل عليه تمثال النعل الطيبة ، فحين شاهدها أغمى عليه ساعة ، ثم
أنشد البيتين المذكورين حين أفاق .

وقال الشيخ الرحال أبو عبد الله بن رشيد الفهرى :

لما دخلت دار الحديث الأشرفية برسم رؤية النعل الكريمة للمصطفى
ﷺ ولثمتها ، حضرتني هذه الأبيات فقلت :

هنيئاً لعيني أن رأيت نعل أحمد فيا سعد جدى قد ظفرت بمقصدي
وقبلتها أشفى الغليل فزادنى فيا عجباً زاد الظما عند موردى
فلله ذاك اللثم لهو ألد من لى شفة ليا وخذ مورد
ولله ذاك اليوم عيداً ومعلماً بتاريخه أرخت مولد أسعد
عليه صلاة نشرها طيب كما يحب ويرضى ربنا لمحمد

ولا بد أن نرسم تمثال النعل الكريمة، تبركا بصاحبها عليه الصلاة
والسلام.

وهذه صفتها:



تمثال النعل النبويّة، في دار الحديث الأشرفيّة بدمشق،
كما رسمته النسخة التيموريّة

ما كتب فى المثال الأيمن

وكتبت فى داخله ما نصه من نظم المؤلف رحمه الله تعالى :

يا ناظرا مثالى النع	ل المصطفى سر الوجود
عظم علاه ففضله	ملاً التهائم والنجوم
واجعله خير وسيلة	فالله ذو كرم وجود
صلى عليه الله ما	أحيا الحيا الروض المجود

ولغيره :

يا مبصرا تمثال نعل نبيه	قبل مثال نعاله متذلا
واذكر به قدما علت فى ليلة الـ	إسراء به فوق السموات العلا
واخضع له وامسح جبينك ولتكن	متبركا أبدا به متوسلا
وللمؤلف رحمه الله تعالى :	

واسأل به متضرعا مستمطرا	ألطاف رب لم يزل متفضلا
فهو الوسيلة والملاذ إذا عرا	خطب وأضحى الكرب أمرا مذهلا
فلکم أغاث من استغاث بجاهه	وأنا له أقصى المرام مسهلا
يا خير خلق الله دعوة حائر	لم يتخذ إلا جنابك موئلا
صلى عليك الله يا نور الهدى	والآل والصحب الكرام ومن تلا

ما حن مشتاق لذكرك أو غدا
وللشامى الفقيه من أهل العصر:
أيا ناظرا متع جفونك ساعة
وقف الإذلال لله واطلبين
فلو لم تكن مقبولة عند ربنا
وللمؤلف:

يا ناظرا تمثال نعد
واجعله خير وسيلة
واحفظه فهو ذخيرة
وللشامى أيضاً:

أنا^(١) نعل الرسول سموت قدرا
أقول لمن بحبى ذات شوقا
تنشق مسك أنفاسى لتشفى
وللمؤلف أيضاً:

بشرف المختار قد شرفت
فاسأل له الرحمن جل اسمه
وكيف لا يدرك مستمسك
وجاه خير الخلق أعظم به

(١) كذا فى سائر الأصول وهو أنسب لقوله: «وفخرى» والذى فى المطبوع: «أيا» بحرف

صلى عليه الله مع صحبه وآله أجل صـحب وآل
انتهى ما كتب فى المثال الأيمن .

ما كتب فى المثال الأيسر

وفى الآخر ما نصه :

وللمؤلف :

يا ناظرا تمثال نـعـل المصطفى فى ذا الكتاب
قبله ألقا ثم زد ما شئت لا تخش العتاب
واسأل به رب الورى سبحانه حسن المآب
وله أيضاً مما قاله بديهة :

حاز هذا المثال كل المزايا إذا حكى نعل رجل خير البرايا
أحمد المصطفى الملاذ إذا ما طرق الدهر أهله بالبالايا
ملجأ العالمين طرا إذا ما جمع الناس يوم تخشى الرزايا
خيرة الله مجتباة ومن حا ز خلا لا حميدة وعطايا
فعليه الصلاة ما قبل النـعـل ل مشوق يروم محو الخطايا

وللكاتب المكلا تى من أهل العصر يشير إلى هذا المثال الكريم :

انظر إلى البدر وتكليفه بين شراك يا لها من قبال
ما صار كالعرجون من تمّه إلا محاكاة لهذا المثال

وللمؤلف أيضاً فى ذلك :

يا ناظرا فى مثال	أضحى هنا ذا ارتسام
يحكى نعالاً تناهت	فى الحسن دون مسامى
قبله تقبيل صب	موله مستهام
وضعه من فوق راس	تاجاً لمفرق هام
وابسط له حر وجه	ولا تخف من ملام
ففضله ليس يحصى	بنشـر او بنظام
واحفظ علاه وصنه	وكن له ذا احترام
أمان حرف وخوف	تيسير كل مرام
لا يطرق الدهر دارا	غدت به فى اتسام
والفلك إن كان فيها	لم يخش من هول طامى
فيا لها بركات	شهيرة فى الأنام
وكيف لا وهو ينمى	للهاشمى التهامى
خير البرية طرا	إمام كل إمام
أسخى الخليفة كفا	أرعاهم لذمام
إنسان عين المعالى	وذو السجايا الجسام
عليه أزكى صلاة	بطيبة وسلام
والصحب والآل طرا	والتابعين الكرام
ما استنشقت نسMAT	من عرف مسك الختام

انتهى ما فى النعل الكريمة واتصل به ما نصه :

ومما قيل فى النعل الكريمة قول الإمام المحدث الرحال أبى عبد الله
 محمد بن جابر الوادى آشى ، ونظمها بدار الحديث الأشرفية من دمشق ، وقد
 رأى فيها تمثال نعل النبى ﷺ فقبله وقال :

دار الحديث الأشرفية للشفأ	فيها رأت عيناي نعل المصطفى
ولثمته حتى قنعت وقلت يا	نفس انعمى أكفأك؟ قالت لى: كفى
لله أوقات وصلت بها المنى	من بعد طيبة ما أجل وأشرفا
لك يا دمشق على البلاد فضيلة	أيامك الأعياد لازمها الصفا
ولكم بجيرون جررت ولم أخف	ذيلا وبرح هواى فيها ما اختفى

قلت ومما أنشدنى الفقيه الأريب العلامة الأديب الحاج الرحال، أبو
 الحسن صاحبنا سيدى علىّ بن أحمد الشامى الخزرجى لنفسه، فى تمثال النعل
 الكريمة، قوله نفعه الله بقصده، وكتبه لى بخطه، وكنت طلبت منه ذلك
 لأثبته فى هذا الموضوع:

دعوا شفة المشتاق من سقمها تشفى	وترشف من آثار ترب الهدى رشفا
وتلثم تمثلا لنعل كريمة	بها الدهر يُستسقى الغمام ويستشفى
ولا تصرفوها عن هواها وسؤالها	بعدلكم فالعدل يمنعها الصرفا
ولا تعتبوها فالعتاب يزيدها	هياما ويسقيها مدام الهوى صرفا
جفتها بكنم الدمع بخلا جفونها	فمن لامها فى اللثم فهو لها أجفى
لئن حجت بالبعد عنهم فهذه	مكارمهم لم تُبق سترًا ولا سجفا

وإن كان ذاك الخيف موعد وصلهم
وأغنت بفضل عن مشقة شقة
فحركت الأشواق منا لروضة
زمان موصولنا نال عائدا
تولى كمثل الطيف إذ زار فى الكرى
تقضى وما قضى بلبنى لبانة
فزلنا وما زلنا نعلل باللقا
كأنا وما كنا نجوب منازل
ولم تبصر الأبصار منها محاسنا
كذاك الليالى لم تحل عن طباعها
فلا عسش لى أرجوه من بعد بعدهم
ويا حبذا قتل إذ العيش لم تزل
ومن لى بقتل فى سبيل الهوى التى
أيا من نأت عنه ديار أحبة
لئن فاتنا وصل بخيف مناهم
وهاتيك أزهار الرياض تنفست
وقل للآلى هاموا اشتياقا لبانهم
فصفحة هذا الطرس أبدت نعالهم
تعالوا نغال^(١) فى مديح علائها

فها نفحة الإفضال قربت الخيفا
نكابد مسراها شتاء يلى صيفا
أباح لنا الإسعاد من زهرها قطفا
وأكد نعت الوصل من نحوهم عطا
وإلا كمثل البرق إذ سارع الخطف
لقيس الهوى والحب منا وما استوفى
نفوسا وما تجدى لعل ولا سوف
يود بها المشتاق لو راهق الحتفا
ولم تسمع الأذان من ذكرها هتفا
متى واصلت يوما تصل قطعها ألفا
وهيهات يرجى العيش من فارق الإلفا
سيوف الهوى تفرى به القلب والجوفا
وعدنا عليها بالجنان ومن أوفى
فمن بعدهم مثلى على الهلك قد أشفى
فها نفحة من عرفهم للحشا أشفى
بأنفاسهم فاستشفين بها تشفى
هلموا لعرق ألبان نستنشق العرفا
وصارت لها ظرفا فيا حسنه ظرفا
فرب غلو لم يعب ربه عرفا

(١) هذا المثلث فى سائر الأصول بالنون فى أوله، وهو أنسب، والذي فى المطبوع: «تغالوا».

والله قوم فى هواها تنافسوا
 وإنا وإن كنا على الكل لم نطق
 لئن قبلوا ألفا نزد نحن بعدهم
 وإن وصفوا واستغرقوا الوصف حسبنا
 ونقبس من أنوارهم قدر وسعنا
 فمن قال بدر ألتم أو طلعة الضحى
 فما الشمس إلا من محاسن ضوئها اسـ
 وما البدر إلا من مشارق نورها اسـ
 وما طاب نشر الروض إلا لأنه
 وما اخضر ترب الأرض إلا لأنها
 فحلوا بها أعلى المفارق واكلحوا
 فآثارها تبرى الجوى وترابها
 لها الفخر أن سارت بها رجل من سرى
 ونودى لا تخلع نعالك واقربن
 وأدناه قرباً قاب قوسين ربه
 نبى به نلنا المنى وتوا كفت
 تعالى على العلياء حتى أنار من
 وقاتل فى إظهار أنوار دينه

وقد عرفوا من بحر أمدادها عرفا
 نحاول بعض البعض من بعض ما يلفى
 على الألف ما يستغرق العد والألفا
 نجيل بروض الحسن من وصفهم طرفا
 ونركض فى مضمار آثارهم طرفا
 أو الروض يحكيها فما أنصف الوصفا
 تنارت ولولاها للازمت الكسفا
 تمتد ولولاها لما فارق الخسفا
 يمد مدى الأيام من نشرها عرفا
 تخطته فاخطت النبات به حرفا
 بها مقلة العينين أو عطروا الأنفا
 لسقم الحشا والقلب أنفع أو أنفى
 إلى حضرة التقديس والقرب والزلفى
 وألفى بها من نفحة الحب ما ألقى
 وناداه قل تسمع وسل تعطى تكفى
 علينا من الرحمن سحب الرضا وكفا
 علاه العلا والغور والنجد والخيافا
 جميع العدى حتى زوى الضيم والخيافا

وكان إلى الهيجاء أول سابق
 هو اه هدى الهادين منه إلى الهدى
 وآياته كالزهر والزهر نفحة
 كفت كفه الجيش اللهم عن الحيا
 وردت له الشمس المنير شعاعها
 وجوده أجدى من رياح عواصف
 أمولاي يا مولاي يا خير سيد
 نأت بى عنكم موبقات جنيتها
 وهأنا عند الباب راج وخائف
 أناديك يا خير البرية كلها
 وإنى محق فى هوى حبك الذى
 وما أنا فيه كالذى قال هازلأ
 فآها لنفسى ثم آها إذا أنا
 وواحسرتا يا حسرتا ثم حسرتا
 ولكن لى ظنا جميلا بنسبتى
 كما أن لى أيضا متاتا بمدحى
 أبى النظم يستوفى حلاها وهل يفى
 عليك صلاة ما بدا بدر تمكم

وما فارق العضب المنهد والسيف
 وحبه أهدى الوارد المورد الأصفى
 وعدا فمن ذا يستطيع لها وصفا
 وكفت جيوش الكفر عن غيها كفا
 كذا البدر بعد التم صار له نصفا
 ومن ذا يبارى الريح إن رامت العصفا
 تسامى على الأشباه طرا مع الأكفا
 وعفوكم من كل كلف بها أكفى
 دموعى لا ترقا وشجوى لا يطفأ
 نداء عبيد يرتجى العفو والعطفأ
 يفل جيوش الهَمَّ إن أقبلت زحفا
 «أليتنا إذ أرسلت واردا وحفا»
 طردت ويا لهفا أرددها لهفا
 إذا لم تكن فى موقف الحشر لى كهفا
 لأنصاركم يا خير من راقب الحلفا
 نعالا بها نيل العلى والمنى يلفى
 روى بآثار الهدى ألف أوفى
 وما اشتاق مشتاق إلى وعدك الأوفى

ومما أنشدنيه أيضاً لنفسه فى ذلك قوله :

بسمر الشوق فى الأحشاء خطا	مثال النعل فى القرطاس خطا
وغشى نوره جفنى وغطى	ولما أن لثمت ندى ثراه
وشمت البدر من عليها خطا	شممت الورد من رياه يندى
ونثر من لآلى الدمع سمطا	ففجر لى من العينين بحرا
وأروى من زناد الشوق سقطا	وروى من جماد الجفن جسمى
لأرض لم تزل تزداد شحطا	وهز من أهوى عطف ارتياحى
مزار بها ولو بالبعد شطا	وذكرانى معاهد لست أنسى الـ
وأكرم من خطا نعلا وأوطا	معاهد خير من ركب المطايا
مفاخر لم يطقها الوصف ضبطا	بأخمص رجله الحسناء حازت
لتلثم وتطوف شحوطا	سمت فسعت لها زهر الدرارى
ولا بدعا بذاك الفخر يسطى	فكلت دونها وسطت عليها
لعمر الله فى التمثيل أخطا	فمن قال الهلال لها مثال
تود بها تداس علا وتخطى	ولكن البدر لها نعال
طلعتها تروم بها محطا	وما طلعت عيون الشمس إلا
لعلياء تحط الراس حطا	وما رقصت غصون النبت إلا
عليها تعتلى الأغصان حوطا	وما غنت طيور الأيك إلا
إليها تبتغى أثلا وخمطا	وما حنت حداة العيس إلا

وما هبت نسيم المسك إلا
ولو يوما تخطت أرض جذب
يحق لنا نعظمها جلالة
ونتعل الوجوه بها جمالا
وتعتصب المفارق من ثراها
نعفر وجنة فيها وخدا
ونشدد من يعاتب فى هواها
ودعنا والهوى إنا أناس
وإنا معشر العشاق ممن
ونقنع بالخيال مدى الليالى
ولا سيما المثال وقد تبدى
وما نعلا نريد ولا مثالا
نبى إن أتيت إلى حماء
أتى والدين أصبح فى انقباضٍ
وقاتل فى سبيل الله حتى
وعمت دعوة منه وغمت
فطوبى للذى لى سريعا
سما لسما العلاء فنال قربا

لرياها تنال بذاك خلطا
لما ألقت بها فى الدهر قحطا
ونربط طرسها بالقلب ربطا
ونجعلها على الآذان قرطا
وتكتحل العيون بذاك شرطا
ونخضب من سواد الرأس شمطا
«إليك خبط من عشواء خبطا»
يزيد غرامنا بالعتب فرطا
يرى جور النوى والبعد قسطا
وإن طال التباعد أو تشطا
يجر على علا الجوزاء مرطا
ولكن من بها العلياء تخطى
وجدت سماحة فى الخلق بسطا
فعاناه إلى أن نال بسطا
أزال عن الورى قنطا وضغطا
بآيات الهدى فرسا وقبطا
ويا ويل الذى عن ذاك أبطا
وهم بنعله نزعا وكشططا

ونودى طأ ولا تخلع نعالا
وأيده الإله بروح قدس
وعظمه على الأرسال طرا
هناك حباه فرضا من صلاة
وسدده إلى أن جاء موسى
إلى أن صير الخمسين خمسا
وأعطاه الشفاعة يوم حشر
وتعجز دونها الأرسال طرا
إذ الجبار يبرز بانتقام
فيدنيه ويلهمه بفضل
ومهما رام يشرع فى سجود
يناد ارفع تطلع واشفع تشفع
فيحظى بالمراد قرير عين
ويصدر شافعا فى كل عاص
ويخرج من له أدنى نواة
جزاه الله عنا كل خير
ولا زالت صلاة الله تترى
تفوح وختمها مسك عبيق

وأبدل من مقام الروح بسطا
ومد له من التقديس بسطا
ونظمه بسلك الوحي وسطى^(١)
بها عنا الذنوب تصيب حبطا
ورددته إليـه يروم حطا
وأبقى أجرها والإصر حطا
يقول أنا لها والناس قنطى
وتأتى الناس سبطا ثم سبطا
ويبدى للورى غضبا وسخطا
محامد مثلها ما قط أعطى
ويضرع بالدعا ويخر هبطا
وقل يسمع وسل ما شئت تعطى
بما أولاه تكرمة وغبطا
مصر دنس الأعمال وخطا
من الأيمان والنيران فرطا
وحاط به ديار الدين حوطا
عليه ما بدا بدر وغطى
يعم عبيـره آلا ورهطا

(١) كذا فى سائر الأصول وهو أوضح وأنسب، والذى فى المطبوع: «بذاك العقد وسطى».

وأنشدني أيضاً لنفسه في ذلك ، مكملًا ما سقط من الحروف من كلام
ابن فرج السبتي المتقدم الذكر قوله جاريا على طريقته :

قافية الواو

وقفت على تثال نعل كريمة فأحييت برسم الشوق منى ما أقوى
وأيقنت إنى إذ ظفرت بلثمها تمسكت فى أخرى بالسبب الأقوى
وناديتها يا نعل عذراً فإننى على مدح بعض من معاليك لا أقوى
وطئت ربوعاً للهدى ومغانيا علاها على الرضوان أسس والتقوى
ولامست رجلاً لو يطاوع تربها ثريا السما شدت لتقبيله حقوا

قافية لام الألف

لألى نعال المجد أهلاً بها أهلاً وشكراً لأن كنا لتقبيلها أهلاً
لألى رسول مسها جلد رجله بها ورد فخر يعذبُ العل والنهلا
لآدم هذا الفخر أيضاً لأننا بذى النعل أنقذنا الغواية والجهلا
لأقسم يا من لام فيها عليك لا تعذب بتعدالى ومهلاً به مهلاً
لأنى غريق فى هوى حبها وكم محب يرى التعذيب فى حبها سهلاً

قافيه الياء

يود لسانى أن يؤدى مدحها نعالاً فيعيننى علاها وحرف اليا
يؤدى ولكن لا يطيق كمالها ولو أنه يفعل بيان الورى فليا
يمينا وإنى فى يمينى صادق لخليتها صيغت من الجنة العليا

يوافيت سر الكون والجود رصت بها وطأة التقديس فانتظمت حليا
يوارى علا رجل على من مشى بها سلام مدى ما ازداد من ربه وليا

وأنشدنى أيضاً لنفسه فى ذلك قوله :

هذى نعال أحمد	مولى المقام الأحمد
فاشكر أخى إذ شمت من	برق سناها واحمد
واكتحلن بتبرها	فهو شفاء الأرمـد
وارشف ثراها إنَّه	يجلى صدا القلب الصدى
والمس بها طرسها	تنل كمال المقصد
واقبس سنى من نورها	فهى سراج المهتدى
كم من إمام أمها	وبهداهم اقتـد
وضمها لصدره	ضمـة ذى تودد
لها خصال جمـة	تربى على التعدد
من لم تزل فى بيته	يحظى بعيش رغـد
يضحى ويمسى آمنا	فى كل يوم أو غـد
لا يمترى فى فضلها	سوى غـبى أو غـد
أو جاهل بقدرها	أو جاحـد أو ملـحد
كم أبرأت من علة	من كل داء مجـهد
وكم أبانت من هدى	بنورها المؤيد
وكم أبادت من عدى	بـسيفها المـهند

وكم أجارت من حمى	بركانها المشيد
فهى أمان خائف	وهى رجاء القُصْدِ
وهى عماد الملتجى	وهى مـرّاد الرود
بالغ أخى فى مدحها	واشدد بأزرى واعضد
وانسب لها ما شئت من	فـخر ولا تفند
وقف هنا هنيهة	وقفة صب مسعد
وانهض إلى تقبيلها	نهضة خلٍ منجد
وقل إذا قبلتها	مقالة المستنجد
يا أكرم الخلق الذى	قد حاز كل سودد
يا مصطفى آثاره	بها الأنام تهتدى
ويا مجير خائفٍ	من كل سوء يعتدى
ويا محب سائل	إذا أتاه يجتدى
عبيدكم ببابكم	حيران ذا تردد
وافى علاك تائباً	من ذنبه المعدد
يرفع من مديحه	إلى علاك الأمجد
عقائلا تنسق من	در ومن زبرجد
تحكى عقود جوهر	أقسامها من عسجد
فامنن له بعطفه	من فضلك المجد

ونهلة من حوضظ الـ	عذب اللذيذ المورد
ووقففة بروضك الـ	غض الندى المورد
وزورة لـقـبـرك الـ	رضى الزكى الملحد
وأوبة له عـسـى	يكون ثم مـرقـدى
صلى عليك الله ما	بدا ضياء الفرقد
والآل والصحب الألى	فازوا بكل الأسعد
ومن أتى من بعدهم	من كل حبر أوحد
ومن تلا جميعهم	ما زم ركب أو حدى
ورددت من منشـد	هذى نعال أحمد

وأنشدنى أيضاً لنفسه فى ذلك الغرض :

نعال بها يشفى العليل من الجوى	ويجلى بها عنه المصائب ذو البلوى ^(١)
هى البرء إلا أن شرب دوائها	لذائقه أحلى من المن والسلوى
هلموا نقبل تربها فعسى به	نخدم جمرا من لظاها الحشى تكوى
فرب عليل جاءه من طبيبه	بشير فخفت عنه من حينه الشكوى

وأنشدنى أيضاً لنفسه فى ذلك الغرض :

أتت شمس السماء تحط راسا	لهذى النعل من دون انتعال ^(٢)
-------------------------	---

(١) هذا المثبت فى سائر النسخ فيكون ذو فاعلا والمصائب مفعولا به، وهو أوضح وأنسب،

والذى فى المطبوع: «وتجلى بها عنه المصائب والبلوى».

(٢) هذا المثبت فى سائر النسخ، وفى المطبوع: «من دون النعال».

وتلثم تربها ذلا لتحظى بما رامته من رتب المعالي
فقال لها الهلال وقد رآها أنخضع لا محالة للنعال؟
فنادته ابتدرها لا تؤخر فيفتضح المعالي بالمعالي

وخاطبني في هذا الغرض، مشيرا إلى إثبات هذه المنظومات التي
سمحت بها قريحته في هذا الموضوع:

أمفتى فاس زند شوقى قد ورى بخير الورى فانقاد طوع عنان
وهبت صبا نحد فهاجت صبابتي وساعد بلبالى بيان بنانى
وصالت على أوصال فكرى فأقلعت عرائس غرس من جنان جنانى
وقد ذوت الأغصان وانتشرت بها أزهارها تحكى نثير جمان
وهذا أوان الغرس جودوا بنقلها لروضكم تحظى بنيل أمان

ولنرجع بعد هذا المقدار إلى ما كنا بصده، فإن مثل هذا الغرض لا
سبيل لحصر عدده، فنقول:

بين القاضى عياض والزمخشري

وممن استجازه القاضى أبو الفضل عياض رحمه الله ولم يجزه:

الزمخشري صاحب الكشف سامحه الله .

وسمعت غير واحد ممن لقيته يخبر أن القاضى عياض لما بلغه امتناع الزمخشري من إجازته قال: الحمد لله الذى لم يجعل على يدٍ لمبتدع أو فاسق، أو نحو هذا من العبارات، والله اعلم.

وإمامة الزمخشري فى العلوم معروفة ولكن أعنة القلوب إلى من بيده التوفيق وضده مصروفة. ولا بد من الإمام ببعض أحوال هذا الرجل الذى اختلفت فى أمره الآراء، وأنس من جانب البيان والنحو نارا، وأنكر الحق وقد وضع نهارا، وذكر بعضهم أنه تاب ويأبى ذلك تصريحه فى كشفه بما خالف السنة جهارا، فإنه لو صح ذلك لمحاه، أو أشهد على نفسه بالرجوع عما قصده فيه وانتحاه، وكثير من الأئمة أغضى عن اعتزاله، وانتفع بكشافه مع قطع النظر عن موضع التهمة واختزاله.

بين الحافظ السلفى والزمخشري

وممن استجازه فأجازه الإمام الحافظ أبو الطاهر السلفى الأصبهاني، المتقدم الذكر، رحمه الله، فإنه خاطبه فى ذلك بما نصه بعد البسملة:

إن رأى الشيخ الأجل العالم العلامة أدام الله توفيقه، أن يجز جميع سماعاته ورواياته وما ألفه فى فنون العلم وأنشأه من المقامات والرسائل والشعر لأحمد بن محمد بن أحمد السلفى الأصبهاني، ويذكر مولده ونسبه إلى أعلى أب يعرف، ويثبت كل ذلك بخطه تحت هذا الاستدعاء، مضافا إليه

ذكر ما صنفه، وذكر شيوخه الذين أخذ عنهم وما سمع عليهم من أمهات المهمات، حديثاً كان أو لغة أو نحواً أو بياناً، فعل مثاباً، وإن تم إنعامه بإثبات أبيات قصار، ومقطوعات فى الحكم والأمثال والزهد وغير ذلك، من نظمه ومما أنشده شيوخه من قبلهم أو من قبل شيوخهم، بعد تسمية كل منهم وإضافة شعره إليه، والشرط فى كل هذا أن يكون بالإسناد المتصل إلى قائله، كان له الفضل، وكذلك إن صحبه أصحابه بشيء من رواياته، أنعم بكتب أحاديث عالية، والله تعالى يوفقه ويحسن جزاءه، ويظيل لنشر العلم والإفادة بقاءه.

ويعلم وفقه الله أنه قد وقع إلينا كتاب من يعقوب بن شيرين الجندى رحمه الله، وفيه قصيدة يرثى بها البرهان البخارى والحاجة داعية إلى معرفة اسمه ونسبه وضبطه، هل هو ابن شيرين بالسين المهملة أو المعجمة وكذلك الجندى بفتح الجيم والنون أو ضم الجيم وإسكان النون بعدها.

والحمد لله حق حمده، وصلواته على سيدنا محمد نبيه وعبد، وعلى آله وصحبه أجمعين من بعده.

فكتب إليه الزمخشري ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم. أسأل الله أن يطيل بقاء الشيخ العالم ويديمه لعلم يغوص على جواهره ويفتق الأصداف عن ذخائره ويوفقه للعمل الصالح الذى هو مرى أغراض أولى العقل ومطمح أبصار المرتكضين إلى غاية الفضل ولقد عثرت من مقاطر قلمه على جملة تنادى على غزارة بحره وتطبي القلوب إلى التزين بسموط دره. وأما ما طلب عندي وخطب إلى من العلوم والدرایات والسماعات والروایات فبنات خلعت على تربيتهن الشباب ثم دفتن وحثوت عليهن التراب وذلك حين آثرت الطريقة الأويسية على بنات

الطرائق، وأخذت الحجب والعوائق، ونقلت كتبى كلها إلى مشهد أبى حنيفة رحمه الله، فوقفتها، وأصفرت منها يدي، إلاّ دفترنا واحدا قد تركته تيممة فى عضدى، وهو كتاب الله المبين، والحبل المتين، والصراط المستقيم، لأهب لما قعدت بصده كلى، وألقى عليه وده كلى، لا يشغلنى عنه بعض ما يجعل الرأى مشتركا، ويرد القلب مقتسما، ولذت بحرم الله المعظم، وبيته المحرم، وطلقت ما وزرنى بتا، وكفت ذيلى عنه كفتا، ما بى هم إلاّ خويصيتى وما يلهينى إلاّ النظر فى قصتى، أنتظر داعى الله صباح مساء، وكأننى به وقد امتطيت الآلة الحدباء، قد وهنت العظام، ووهنت القوى، وقلت الصحة، وكثر الجوى، وما أنا إلاّ ذماء يتردد فى جسد، هو هامة اليوم أو غد، فما لمثلّى وما له من الآخرة شىء. ولقد أجزت له يروى:

محمود الخوارزمى ثم الزمخشري، منسوب إلى قرية منها، هى مسقط رأسى، ولبعض أفاضل المشرق:

فلو وازن الدنيا تراب زمخشر لأنك منها زاده الله رجحانا
وللشريف الأجل الإمام على بن عيسى بن حمزة بن وهاس الحسنى:

جميع قرى الدنيا سوى القرية التى تبوأها دارا فداء زمخشرا
وأحر بأن تزهى زمخشر بامرئ إذا عد فى أسد الشرى زمخ الشرى
فلولا ما طن البلاد بذكرها ولا طار فيها منجدا ومغورا
فليس ثناها بالعراق وأهله بأعرف منه فى الحجاز وأشهر
ومن المقطوعات التى اخترعتها من قبلى:

ومروعة بمشيب رأسى أقبلت تبكى فقلت لها ودمعى جارى

هذا المشيب لهيب نار أوقدت
فى القلب موقدها حذار النار
أخرى:

إليك إلهى المشتكى نفس مشته
إلى الشر تدعونى عن الخير تنهانى
وما يشتكى الشيطان إلا مغفل
إلا إن نفس المشتهى ألف شيطان
أخرى:

شكوت إلى الأيام سوء صنيعها
ومن عجب باك تشكى إلى المبكى
فما زادت الأيام إلا شكاية
وما زالت الأيام تشكى ولا تشكى
أخرى:

مسرة أحقاب تلقيت بعدها
مساة يوم أريها شبه الصاب
وكيف بأن تلقى مسرة ساعة
وراء تقضيها مساة أحقاب
أخرى:

الخوض فى دول الدنيا يلج بكم
كأنها لجج خواضها لجج
كم خلصت لجج البحر الرجال وما
أقل من خلصته هذه اللجج
أخرى:

مبالاة مثلى بالرزايا غضاضة
أبأها وثيق العقدتين حصيف
إذا أقبلت يوما على صروفها
لأنيابها فى مسمعى صريف
عتاب لها حتى أشقَّ نحورها
أسنة عزم حـدـهن رهيف
يمسحن أركانى وهن قوافل
صفا صادرات النبل عنه مصيف

والقاضي أديب الملوك أبو إسماعيل يعقوب بن شرين الجندی، أفضل
الفتيان في عصره، وأعقلهم وأذكاهم وأداهم، وكان كاتب سلطان خوارزم
فاستعفى، وهو يكتب باللسانين العربية والفارسية ويحسن، وهو ممن ربيت
وخرجت وبلغت تلك الذروة، وهو أوثق سهم من كنانتي.

والحمد لله أولا وآخرا، والصلاة على نبينا محمد وآله والطيبين.

ثم إن الشيخ السلفي عاوده الاستجازه في السنة الثانية من إسكندرية
كأنه ما وصلته إجازته فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم. المسئول من كرم الشيخ الأجل العلامة أدام
الله بهجته، وحرس مهجته، أن يجيز لأحمد بن محمد السلفي الأصبهاني
جميع مسموعاته ومجموعاته في جميع الفنون، ويثبت بخطه أساميها تحت
هذا الخط، ويضيف إلى ذلك ذكر شيوخه الأعلام، الذين أخذ عنهم الحديث
واللغة ويذكر جملا مما سمعه عليهم، ويتم تفضيله بأبيات أحاديث قصار من
روايته عنهم وكتب شيء من شعر من رآه وأنشده من قبله، بعد المبالغة في
التعريف به، ولا يذكر من الأبيات إلا القصار، التي تصلح لأصحاب الحديث
ويتصور إخراجها في الأمالي وأواخر الفوائد، ويذكر متفضلا مولده والسنة
التي ولد فيها، فالحاجة داعية إلى كل ذلك ويبين ذكر المؤلف والمختلف الذي
ألفه في أي فن هو وعلى أي شيء يجوز؟ أعلى ذكر الفقهاء أو الأدباء أم أهل
الحديث؟ ولا يحوج أدام الله توفيقه إلى المراجعة، فالمسافة بعيدة، وقد كاتبه
في السنة الماضية ولم يجبه بما يشفى الغليل، وله في ذلك الثواب الجزيل، إن
شاء الله تعالى وبه الثقة.

(١) هذا المثبت من سائر النسخ، ويدعمه قوله بعد: «من الأبيات إلا القصار» والذي في

المطبوع: «بإثبات».

فأجاب فخر خوارزم بما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

ما مثلى مع أعلام العلماء إلا كمثل السها مع مصابيح السماء، والجهام
الصفير والجهام مع الغواذى الغامرة للقيان والإكام، والسكيت المخلف مع خيل
السباق، والبغات مع الطير العتاق، وما التلقيب بالعلامة، إلا شبه الرقم
بالعلامة، كما قال بعض العرب، وقيل له لم سميت نعامه: الأسماء علامة
وليست بكرامه ولو كانت كرامة لا شترك الناس فى اسم واحد. والعلم مدينة
أحد بابيها الرواية والثانى الدراية، وأنا فى كلا البابين ذو بضاعة مزجاة، ظلى
فيه أقلص من ظل حصاة، وأما الرواية فحديثه الميلاد قريية الإسناد لم تستند
إلى علماء نحارير ولا إلى أعلام مشاهير، وأما الدراية فثمد لا يبلغ أفواها،
وبرض لا يبيل شفاها، ولا يغرنكم قول الوزير مجير الدولة:

وجولت فكرى فى البلاد فلم يقع على رجل فى علمه غير راجل
إلى أن جرى الطير السنيح فدلنى على فخر خوارزم ورأس الأفاضل
ولا قول المنتخب محمد بن أرسلان:

وما ناصر الإسلام إلا ابن بجدة يحيط بعلم لا يحيط به الورى
أبو القاسم المحمود محمود الذى به تفخر الدنيا وناهيك مفخرا
ولا قول الشريف الأجل ذى المناقب، أبى الحسن على بن حمزة بن
وهاس الحسنى المدنى.

قال أحمد المقرئ وفقه الله :

هو عليّ «بضم أوله وفتح ثانيه» ابن عيسى بن حمزة بن وهاس الحسنى العلوى؛ وقيل إنّ الكشف برسمه صنعه الزمخشري، رحم الله الجميع .

رجع إلى كلام الزمخشري:

وكم للإمام الفرد عندي من يد
أخى العزمة البيضاء والهمة التي
جميع قرى الدنيا سوى القرية التي
وأحر بأن تزهى زمخشر بامرئ
فلولا ما ظن البلاد بذكرها
فليس ثناها بالعراق وأهله
إمام قلبنا من قلبنا وكلمنا
ومكة راووق الرجال فهأكه
رسا طود تقوى فاض بحر فضائل
وتحت علاق الصدق سر مطهر
فلولا سماء أشمست ثم أقمرت
ولا قوله رحمه الله :

لقد شجنى فى أم رأسى عزمه
تمنيت لو لم ألقه وجهلته

(١) هذا الصواب من سائر النسخ، وفى المطبوع: «فكم أدل» ولا يستقيم به الوزن، والبيت

من الطويل .

فدیت أمرا يحشو الفؤاد فراقه
 وكائن رأينا من أولى العلم والتقى
 فَأَخْمَدَ أَسْتَادُ الزمان ضياءهم
 ولا قوله رحمه الله :

أتى حرم الله العظيم مجاورا
 فمن حوضه عبت ظماء ذوى النهى
 ولا قول العميدى رحمه الله :

ولو وازن الدنيا تراب زمخشر
 ولا قول بعض فتيانها المجيدین :

دعوك بجار الله والله عالم
 لعمرى لقد فاضت وأنت مفيضها
 رقت ذمام الله فى كل مؤمن
 وأنت الإمام الزاهد الورع الذى
 وإنك للعلامة الجامع الذى
 وما نصر الإسلام غيرك أهله
 ومن طالع التفسير أيقن أنه
 وإنك أستاذ الزمان وكلهم
 وسمتك إذ فرقت فى كل بلدة

بأنك جار الله حقا كما وجب
 على حرم الله الصنائع والقرب
 وواسيتهم بالعلم طَوْرًا^(١) وبالنشب
 أبيت أغترارا باللجين وبالذهب
 جمعت أفنين العلوم إلى الأدب
 وإن طار أعلى المنازل والرتب
 من الفلك الأعلى أتى ذلك القلب
 تلامذة جاثون صغرا على الركب
 جواهر علم شيخها العجم والعرب

(١) هذا المثلث فى سائر الأصول، ويبدو أنه أنسب من رواية المطبوع وفيها: «طُرًّا».

فما لخوارزم التى أنت فخرها
ولا قول ابن القرطبى:

مُنْعِمًا^(١) بلغ تحياتى إلى
ليس قس عنده قسا ولا
أى آداب وعلم وتقى
قل إذا ما الدهر أمسى عابسا
لو جعلت اليم حبرا والفلأ
إن من جراه لولا المصطفى
كل موجود سواه حيث لم
ولا قول الخطيب الموفق:

لسانك غواص ولفظك لؤلؤ
لسان يود الحاسدون لو أنه
ولا قوله أيضاً:

أفخر خوارزم مالى عنك منحرف
ألست أنت الذى خولتنى نعماً
ألست أنت الذى أوليتنى رتبا
ألست أنت الذى من ورد نعمته
أعداؤك استسرفونى من جهالتهم
ما دام يختلف الأنوار والسدف
تطوى وتنشر فى تعدادها الصحف
بفضل رفعتها الإيوان يعترف
وورد حكمته أجنى وأغترف
فى وصفها وهى عندى فوق ما أصف

(١) هذا المثلث فى سائر الأصول وهو أنسب، والذى فى المطبوع: «قسماً».

ولا قول أديب الملوك يعقوب بن شيرين الجندی :

فتى سار فى الآفاق ركبان ذكره مغربة طوراً وطوراً مشرقه
إذا حل فى أرض أتاها فحولها تفيد علوما حوله متحلقه
وإن خاض فى شرح العلوم رأيته لفرط احتشام من معاليه مطرقه
فليس له فى كل شرق ومغرب نظير بنو الدنيا على ذاك مطبقه

ولا قول البديع الخوارزمي :

أمكة هل تدرين ماذا تضمنت يمدد جار الله منك الأباطح
به وإليه العلم ينمى ويتنمى وفيه لأرباب العلوم المناجح
محاط رحال الفاضلين فلم يزل يحط إليه الرحال غاد ورائح
إذا انتابه صفر الوطاب رأيته تحول عنه وهو ملآن طافح
بمتة الكرام الغر من خير أسرة هم قدوة الدنيا الكهول الجحاح
أدلاء ضلال البرايا جباههم مصايح رهبان فدتها المصباح

فإن ذلك اغترار منهم بالظاهر المموه، وجهل بالباطن المشوه.

ولعل الذى غرهم منى ما رأوا من النصيح للمسلمين، وبليغ الشفقة
على المستفيدين، وقطع المطامع عنهم، وإفادة المبار والصنائع عليهم، وعزة
النفس والرب، بها عن الإسفاف للذنيات، والإقبال على خويصتى،
والإعراض عما لا يعنينى، فجللت فى عيونهم، وغلطوا فىّ ونسبوني إلى ما
لست فى قبيل ولا دبير.

وما أنا فيما أقول بهاضم لنفسى، كما قال الحسن رحمه الله فى أبى بكر
الصدیق رضى الله عنه وقوله: «وليتكم ولست بخيركم» إن المؤمن ليهضم

نفسه، وإنما صدقت الفاحص عني، وعن كنه روایتی ودرایتی، ومن لقيت وأخذت عنه، وما مبلغ علمي وقصاري فضلي، وأطلعته طلع أمري، وأفضيت إليه بخبيئة سرّي، وألقيت إليه عجزى وبجرى، وأعلمته نجمي وشجرى.

وأما المولد فقريّة مجهولة من قرى خوارزم، تسمى زمخشر، وسمعت أبا رحمه الله يقول: اجتاز بها أعرابي فسأل عن اسمها واسم كبيرها فقيل له زمخشر والرداد. فقال: لا خير في شر ورد، ولم يلّم بها. ووقت الميلاد شهر الله الأصم في عام سبع وستين وأربع مئة. والحمد لله المحمود، والمصلّى عليه محمد ﷺ. انتهى.

قلت: وإنما أوردت ذلك مع ما في بعضه من الغلو، وعدم التأدب مع الشرع في بعض الألفاظ، كي تعلم فضل أهل السنة رضى الله عنهم، حيث انتصروا على من هذه صفته على زعمه، بالحجج البالغة، وكسروا أم رأسه ورأس شيعته بالحجارة الدامغة، ولم يغن عنه شيء من اعتقاد هؤلاء الغلاة فيه، ولم تنفعه ألسنتهم التي تأتي بالباطل في صور الحق، وتستفضي مطلوبها وتستوفيه، اللهم إلا أن يكونوا غير عالمين باعتقاده، فلهم عذر عند اعتراض المعارض وانتقاده، وأيا ما كان فقد هدم أهل السنة رضى الله عنهم له ولأحزابه أساسا، وكلما حمى حوزته البدعية كليب من شيعته قىض الله له جساسا، فظهر الحق وأهله، وارتفع غي المبتدع وجهله.

ومن بديع نظم الزمخشري المذكور قوله:

هو النَّفْسُ الصَّعَادُ عَنْ كِبْدٍ حَرَى إِلَى أَنْ أَرَى أُمَّ الْقُرَى مَرَّةً أُخْرَى
سَرِيتُ بِشَخْصِي لَا بِنَفْسِي وَهَمْتِي وَهِيَّاهُ مَا لِلْأَخْشِينَ وَلِلْمَسْرَى
مَقِيمَانِ عِنْدَ الْبَيْتِ مَا ذَرَّ شَارِقُ مَنِيخَانِ بِالْبَطْحَاءِ مَا ذَكَتِ الشَّعْرَى
وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ:

مَلِيحٌ وَلَكِنْ عِنْدَ كُلِّ جَفْوَةٍ وَلَمْ أَرِ فِي الدُّنْيَا صَفَاءً بَلَا كَدَرٍ
وَلَمْ أُنْسَ إِذْ غَاظَلْتَهُ قَرَبَ رَوْضَةٍ إِلَى جَنْبِ حَوْضٍ فِيهِ لِلْمَاءِ مَنَحْدَرُ
فَقُلْتُ لَهُ جِئْتَنِي بِوَرْدٍ وَإِنَّمَا أَرَدْتُ بِهِ وَرْدَ الْخُدُودِ وَمَا شَعَرُ
فَقَالَ انْتَظِرْ رَجْعَ طَرَفٍ أَجِئْ بِهِ فَقُلْتُ لَهُ: هِيَّاهُ مَا لِي مُنْتَظِرُ!
فَقَالَ وَلَا وَرْدَ سِوَى الْخَدِّ حَاضِرُ قُلْتُ لَهُ إِنِّي قَنَعْتُ بِمَا حَاضِرُ
وَقَوْلُهُ:

إِذَا التَّصَقَّتْ بِالْبَحْثِ فِي الْعِلْمِ رَكْبَتِي بِرَكْبَةٍ نَحْرِيرٍ عَلَى الْجَدِّ دَأْبُ
فَإِنْ دَامَ لِي عَوْنُ الْإِلَهِ عَلَى الَّذِي أَعَانِيهِ مِنْ فَضْلِ وَبَرٍّ وَأَدَابُ
وَإِنْ نَظَرْتُ عَيْنِي عَلَى الْوَدِّ وَالصَّفَا مَعَ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى نَوَاطِرَ أَحْبَابُ
فَقُلْ لِمُلُوكِ الْأَرْضِ يَلْهَوْا وَيَلْعَبُوا فَذَلِكَ لَهْوِي مَا حَيَّيْتُ وَتَلْعَابِي
وَقَوْلُهُ أَيْضًا:

أَرْبَعَةٌ لِلدِّينِ أَرْكَانُ حَبِيبُهُمْ يَمَنْ وَإِيمَانُ
أَرْبَعَةٌ أَوَّلُ أَسْمَائِهِمْ عَيْنٌ وَهُمْ فِي النَّاسِ أَعْيَانُ
عَتِيقٌ وَالْفَارُوقُ وَالْمَجْتَبَى مِنْهُمْ ذُو النُّورَيْنِ عَثْمَانُ

قال السيوطى فى الطبقات الصغرى ما نصه^(١):

محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشري أبو القاسم جار الله كان واسع العلم، كثير الفضل، غاية فى الذكاء وجودة القريحة، متفننا فى كل علم معتزليا، قويا فى مذهبه، مجاهرا به حنفيا.

ولد فى رجب سنة سبع وستين وأربع مئة، وورد بغداد غير مرة، وأخذ الأدب عن أبى الحسن على بن المظفر النيسابورى، وأبى مضر الأصبهاني، وسمع من أبى سعد الشقاني، وشيخ الإسلام أبى منصور الحارثي، وجماعة؛ وجاور بمكة، وتلقب بجار الله، وفخر خوارزم أيضا. وكتب إليه الحافظ السلفى يستجيزه. وأصابه خراج فى رجله، فقطعها، وصنع عوضا عنها رجلا من خشب، وكان إذا مشى ألقى عليها ثيابه الطوال، فيظن من يراه أنه أعرج. وله من التصانيف: الكشف فى التفسير، الفائق فى غريب الحديث، المفصل فى النحو، المقامات، المستقصى فى الأمثال، ربيع الأبرار، أطواق الذهب، صميم العربية، شرح أبيات الكتاب، النموذج فى النحو، الرائض فى الفرائض، شرح بعض مشكلات المفصل، الكلم النوابع، القسطاس فى العروض، الأحاجى النحوية، وغير ذلك.

مات يوم عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة.

أسندنا حديثه فى الطبقات الكبرى وتكرر فى جمع الجوامع.

وله:

إنَّ التفاسير فى الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمري مثل كشافى
إنَّ كنت تبغى الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء والكشاف كالشافى

(١) بغية الوعاة ج ٢ ص ٢٧٠.

انتهى كلام السيوطى .

وقال ابن خلكان فيه ما نصه^(١):

محمود بن عمر بن حتى الخوارزمى الزمخشري، أبو القاسم الإمام، له الكتب فى التفسير، والحديث، والنحو، واللغة، وعلم البيان. إمام عصره غير مدافع، تشد إليه الرحال فى فنونه، وصنف التصانيف الشريفة، منها الكشف لم يصنف قبله مثله؛ والمفصل فى النحو، وغير ذلك. وسافر إلى مكة وأقام مجاورا زمنا فصار يقال له جار الله لذلك، وكان هذا الاسم علما عليه وكانت إحدى رجليه ساقطة، وكان يمشى فى جاون^(٢) خشب، وسبب سقوطها أنه أصابه فى بعض أسفاره ببلاد خوارزم ثلج وبرد شديد، فسقطت رجله، وكان بيده محضر فيه شهادة خلق كثير ممن اطلعوا على حقيقة ذلك خوفا من أن يظن به أنها قطعت لريبة، وقيل إنه سئل عن قطع سبب رجله فقال: دعاء الوالدة، وذلك أنى فى صباى أمسكت عصفورا وربطت خيطا فى رجله فأفلت من يدي فأدركته وقد دخل فى خرق فجذبتة، فانقطعت رجله فى الخيط، فتألمت والدتى لذلك وقالت قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله، فلما دخلت إلى بخارى لطلب العلم، سقطت من الدابة وانكسرت الرجل وعملت على عملا أوجب قطعها. وكان الزمخشري معتزلى الاعتقاد، متظاهرا به، وكان إذا قصد صاحبها له واستأذن عليه فى الدخول يقول له: أبو القاسم المعتزلى بالباب.

وأول ما صنف الكشف كتب استفتاح الخطبة: «الحمد لله الذى خلق القرآن» ف قيل له: متى تركته على هذه الهيئة هجره الناس ولا يرغب أحد فيه فغيره وقال: «الحمد لله الذى جعل القرآن» وجعل عندهم: بمعنى خلق.

(١) وفيات الأعيان ج ٥ ص ١٦٨ .

(٢) هذا المثلث رواية ابن خلكان الذى ينقل عنه المصنف، وفى المطبوع: «جارن» بالراء.

ورثى فى كثير من النسخ: «الحمد لله الذى أنزل القرآن» وهذا إصلاح الناس
لا إصلاح المصنف.

ومن شعره يرثى شيخه أبا مضر محموداً^(١):

وقائلة ما هذه الدرر التى تساقط من عينيك سمطين سمطين
فقلت لها الدر الذى كان قد حشا أبو مضر أذنى تساقط من عيني

وأشدد فى كتابه الكشف لبعضهم^(٢):

يا من يرى مدينة البعوض جناحها فى ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى عروق نياطها فى نحرها والمخ فى تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه فى الزمان الأول
ويروى أن الزمخشري أوصى أن تكتب هذه الأبيات على لوح قبره.

وقال غير ابن خلكان فى البيت الأخير:

امن على بتوبة أمحوبها ما كان منى فى الزمان الأول
وهذا لا يناسب الكتب على لوح القبر وإنما يناسبه ما روى ابن خلكان
فتأمله.

ثم قال ابن خلكان: وحدث بعض الأصحاب أنه رأى بجزيرة سواكن
تربة ملكها عزيز الدولة ريحان، وعلى قبره مكتوب^(٣):

يأيها الناس كان لى أمل قصر بى عن بلوغه الأجل
فليستق الله ربه رجل أكنه قبل موته العمل
ما أنا وحدى نقلت حيث ترى كل إلى ما نقلت ينتقل

(١) ابن خلكان، ج ٥ ص ١٧٢.

(٢) ابن خلكان، ج ٥ ص ١٧٣.

(٣) ابن خلكان، ج ٥ ص ١٧٣.

توفى الزمخشري ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسة مئة .

انتهى كلام ابن خلكان .

وقد تقدم فى التأليف الذى نقلناه عن الشيخ ابن غازى رحمه الله بعض إلمام بحال الزمخشري سامحه الله .

ومن نظم الزمخشري قوله يمدح كتاب سيبويه رحمه الله :
ألا صلى الإله صلاة حق على عمرو بن عثمان بن قنبر
فإن كتابه لم يغن عنه بنو قلم ولا أبناء منبر

بين الزمخشري وأهل السنة

وأنشد الزمخشري فى كشفه لبعض العدلية، يعرض بأهل السنة والجماعة المفلحين وينصر مذهبه الفاسد:

لجماعة سموا هواهم سنة وجماعة حمر لعمرى موكفه
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا شنع الورى فتستروا بالبلكه

وقد تصدى للرد عليه من أهل السنة رضى الله عنهم جم وافر، وأبدوا ما يؤيد مذهبهم الظافر، وتركوا المبتدع يحك رأسه بغير أظافر .

ولنذكر الآن ما حضرنا من ذلك كقول صاحب الانتصاف من الكشف وهو ناصر الدين بن المنير الإسكندراني رحمه الله تعالى :

وجماعة كفروا برؤية ربهم هذا ووعد الله ما أن يخلفه
وتلقبوا عدلية قلنا أجل عدلوا بربهم فحسبهم سفه
وتلقبوا الناجين كلا إنهم إن لم يكونوا فى لظى فعلى شفه
وكقوله أيضاً أعنى أصحاب الانتصاف :

عجبا لقوم ظالمين تلقبوا بالعدل ما فيهم لعمري معرفه
قد جاءهم من حيث لا يدرونه تعطيل ذات الله مع نفى الصفه
وكقول الشيخ الإمام أبى على عمر بن محمد خليل السكونى الأصولى
رحمه الله :

سميت جهلا صدر أمة أحمد وذوى البصائر بالحمير المؤكفه
ورميتهم عن نبعة سويتها رمى الوليد غدا يمزق مصحفه
وزعمت أن قد شبهوه بخلقه وتخوفوا فتستروا بالبلكفه
نطق الكتاب وأنت تنطق بالهوى فهو الهوى بك فى المهاوى المتلفه
وجب الخسار عليك فانظر منصفاً فى آية الأعراف فهى المنصفه
أترى الكلیم أتى بجهل ما أتى وأتى شيوخك ما أتوا عن معرفه

وقول القاضى أبى على عمر بن عبد الرفيع :

جورية وتلقبت عدلية وعن الصواب عدولها للسفسفه
نفوا الصفات وعطلوا وتمجسوا ويكابرون وشأنهم جلب السفه
هكذا وجد بخط الإمام أبى عبد الله بن مرزوق، ورأيت به بخط بعض
الأصحاب: وشأنهم حال السفه، والأمر فى ذلك قريب.

وقول الإمام القاضي أبي عبد الله محمد بن عليّ الأجمي التونسي
قاضي الأئكة رحمه الله تعالى :

لهواتف هتفوا وظنوا هتفهم عدلا لقد بلغوا النهاية في السفه
زعموا بأن الذات قام بغيرها صفة وفيها أوجبوا حكم الصفه
خرقوا سياجا شاده سلف الهدى وتمذهبوا بمذاهب مستنكفه
وأتى الأخير الغمر من أتباعهم يبغي الحجاج معرضا بالبلكفه
أعنى الخوارزمي ذا الصلف الذي لم يتئد من جهله بالمعرفه
بل تاه في بيда الجهالة معرضا كحمار وحش في مهامه متلفه

وقول الفقيه أبي زكريا يحيى بن منصور التونسي ، قال الشيخ ابن
مرزوق رحمه الله : وفي جوابه تعريض بجواب الأجمي فوجه :

عجبا لحبر في البلاغة ذائق علم الفصاحة فرده ومؤلفه
جمع المعاني والبيان مكشفا أسرار قرآن بأكمل معرفه
وأضل الله العظيم فراغ عن سنن الصواب وحاد عنه وحرفه
فأحق قدرة حادث وأحال رؤ ية واجب أو أن تكون له صفه
ما ذاك إلا فعل قهار به قوم ذوو رشد وقوم في سفه
والله أسأل رحمة لجميعنا ودخولنا فيمن حباه وشرفه
متوسلين بأحمد خير الوري صلى عليه الله ما نطقت شفاه

وقوله الفقيه أبى محمد عبد الواحد اليفرنى :

قل للذى جمع النظام وخلفه من بعده لك موعد لن تخلفه
أثبت عدل جماعة فى جورهم والجور أثبتته لهم نفى الصفه
ستكون من تلك الجماعة يوم هم حمر لغى أو لكى موقفه

وقوله شيخ الإسلام أبى عبد الله بن عرفة رحمه الله :

لحالة سمووا هواهم معدلا وحثالة حمر لكى موقفه
قد شبهوه بالمحال وعطلوا وتستروا بالذات عن نفى الصفه
قوله : «قد شبهوه بالمحال» أى لقولهم : «عالم لا بعلم» ونفى العلم
يستلزم أن يكون محالا . هكذا ألفى فى بعض المقييدات والله اعلم .

وقول خطيب الخطباء الرئيس الحاجب ، الفقيه المحدث الرحال سيدى
أبى عبد الله بن مرزوق التلمسانى رحمه الله تعالى :

وجماعة عرفت لعمرى بالسفه وتمسك بظلال أهل الفلسفه
عدلت عن النهج القويم فلقت عدلية وعدولها عن معرفه
ضلت وقالت لن يرى ربُّ الورى يوم الجزاء فالزمت نفى الصفه
هذا وكم من زلة زلت وكم من مذهب ذهبت به فى متلفه
وكذاك أسلمت الأمور لنفسها هيهات تنقذ نفسها من متلفه
كيف السبيل لصرفها عن غيرها والعدل يمنع صرفها والمعرفه

وقال سعد الدين التفتازانى رحمه الله ، عند ذكر البيتين اللذين أنشدهما

الزمخشري ما نصه: ولقد عورض ما أنشده وأنشأه من الهذيان. قال الإمام المحقق محبى السنة، قانع البدعة كامل الدين المظفر ردا عليهم:

لجماعة كفروا برؤية ربهم ولقائه حمر لعمرى موكفه
هم عطلوه عن الصفات وعطلوا عنه الفعال فيها لها من منكفه
هم نازعوا الخلق حتى أشركوا بالله زمرة حاكة وأساكفه
هذا غلقوا أبواب رحمته التى هى لا تزال على العصاة موكفه
ولهم قواعد فى العقائد رذلة ومذاهب مجهولة مستنكفه
يبكى كتاب الله من تأويلهم بدموعهم المنهلة المستوكفه
وكذا أحاديث النبی دموعها منهم على الخدين غير مكفكه
فالله أمطر فى سحاب عذابه وعقابه أبدا عليهم أوكفه
انتهى لكلام السعد رحمه الله.

وقال الطيبي رحمه الله: وأجابه بعض أهل السنة بقوله:

عبا لقوم ظالمين تستروا بالعدل ما فيهم لعمرى معرفه
... البيتين وقد تقدم أنهما لصاحب الانتصاف حسبما صرح بذلك
الإمام ابن مرزوق، فبان أنه المعنى بقول الطيبي: أجاب بعض أهل السنة والله
أعلم.

قلت: وقد رأيت بتلمسان بخط الفقيه أبى عبد الله محمد بن الحداد
الوادى آشى ثم الغرناطى نزيل تلمسان رحمه الله، جوابا بديعا جدا للشيخ
الإمام ابن الجبير اليحصبي، أحد أعلام المتأخرين بالأندلس، ونقلته من خطه
الحسن وهو:

وجماعة منشوءة بدعية مصروفة عن رشدھا متعسفة
 حاروا وسموا قومهم عدلية عدلوا ولكن عن طريق المعرفة
 قوم نفوا عن ربهم أحكامه فى خلقه لما نفوا عنه الصفه
 غطوا على التعطيل بالتنزيه إذ ضلوا ضلال الأسرة المتفلسفه
 فطريقهم أس الضلال وقولهم عين المحال محض السفه
 الحق جبّ سنام جبائهم وقناة نجل عبيدهم متقصفه
 وتناثرت خرزات نظام لهم والكودن العلاف بل المعلقه
 والشيخ محمود هو الفيل الذى كادوا به المعنى الذى فى البلکفه
 ما منهم إلا حمار صوت فى فيه جحفلة ويحسبها شفہ

قال وكتب بخطه الرائق تحت قوله «إلا حمار» ما نصه :

البادى أظلم . انتهى .

ولا خفاء ببراعة هذا النظم ، وحسن مساقه وتوطئته للتورية البديعة التى
 هى قوله : «والشيخ محمود» الخ فإنّ هذا التلميح لقصة الفيل المذكورة فى
 القرآن فى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ [١] [الفيل] ، وقد
 صرح غير واحد من أهل التفسير والسير أن اسم ذلك الفيل الذى جاء به
 أبرهة لهدم الكعبة محمود ، فجبر بذلك ابن الجبير ما ضاع من الاتفاق
 الغريب والله تعالى يجازيه أفضل جزائه ، وجميع أهل السنة بما أتوا به من
 الحجج التى جدعت أنف كل مستريب .

وبعد أن كتبت ما ذكرته من حفظى ، راجعت مقيداتي فألفت بها مما

نقلته من خط الوادى آشى المذكور ما نصه :

أنشدنا شيخنا وبركتنا العالم الجليل، الخطيب المصقع، البليغ المفيد،
إمام وقته في العلوم، والتحصيل والفهوم، قاضى الجماعة، سيدنا أبو عبد
الله، محمد بن عليّ بن الأزرق رضى الله عنه، وأمتع ببقائه وإفادته، ووصل
أسباب سعادته. قال:

أنشدنى شيخ الأدباء وحجة البلغاء الكاتب المجيد الأبرع، أبو عبد الله
محمد بن الجبير اليحصبي معارضا للبيتين الشهيرين، اللذين أنشدهما
الزمخشري فعارضهما ابن الجبير بقوله:

وجماعة مشنوءة بدعية مصروفة عن رشدتها متعسفة
... الأبيات. قال شيخنا: ولما أنشده الأبيات ناظمها، كتبها له بخطه
الحسن وكتب تحت قوله «إلا حمار»: البادى أظلم انتهى.

ثم قال الوادى أشى المذكور: ولسیدی ابن الجبير المذكور ومن خطه
قيدت:

كلما رمت أن أقدم خيرا لمعادى ورمت أنى أتوب
صرفتني بواعث النفس قسرا فتقاعست والذنوب ذنوب
ربّ قلبى قلبى لعزيمة خير بمتاب ففى يدك القلوب
وله أيضا وقد أشار عليه الرئيس الكاتب أبو عبد الله الشران بإنشاء
صدر لمكاتبات سلطانية:

ذرعى وصدري بالصدر هذا يضيق وذا يدور
أنت الملى بكتبها ما للصدر سوى الصدور

فأجابه الشران بقوله :

تجر اجتهدك لن يبور فدع الكلام وكن صبور
إنَّ الصدور بك ازدهت بالدّر تزدان الصدور
نقلت هذا كله من خط الفقيه أبي عبد الله محمد الوادي آشي المذكور
أنفا رحمه الله تعالى .

ثم قال الوادي آشي :

(*) ومن نظم سيدى محمد بن الجبير - وقد أهدى له سيدى أبو القاسم
السباطير - تفاحا :

خليل لم يزل قلبى قديما
يميل بفطر صاغيتى إليه
أتانى مقبلا والبشر بيدي
وسائل برة ذكرت لديه
وجاء بعرف تفاح ذكى
فقلت أتى الخليل بسيبويه
فأهدى من جناه بكل شكل
يلوح جمال مهديها عليه

(*) من هذه العلامة إلى مثلها فيما يلى ساقط من المطبوع، وهو فى مخطوط الرباط رقم

وقال يرثى السرقسطى المفتى :

بكتك رسوم الدين يا أوجد العلى

وصرت إلى الأخرى فأظلمت الدنيا

لئن صدعت فىك القلوب فطالما

صدعت بأحكام الشريعة والفتيا

على السرقسطى الرضى صوب رحمة

تعود على مشواه بالغيث والسقى

على نعشك انثالت نفوس أولى النهى

فقد زهدت فى العيش بعدك والبقيا

وله رحمه الله :

يا بنى عاصم البشرى لكم

زاد فى أولادكم فجل نفيس

ذو الرياسات الذى بشركم

بالرئيس ابن الرئيس ابن الرئيس

وهو فى السائر من أيامه

لأولى العلم وللملك جليس

وقوله فى مصرىة الأزرق :

مصرىة السىد المعلى

ما إن لها فى الكمال ثان

وإن يكن شأنها دخان

فليس ذا صفار شان

راقت جمالها فعوذوها

مخافة العين بالدخان(*)

ثم قال الوادى آشى المذكور :

سمعت شىخنا الإمام سىدى بن الأزرق الأصبحى رحمه الله بمجلس
تدرىسه من الجامع الأعظم بغرناطة يقول : كان أبو محمد عوف بن يوسف
الخزاعى من أهل القيروان يقول : الخلائق كلهم أعداء بنى آدم ، وبنو آدم كلهم
أعداء المسلمين ، وجميعهم أعداء أهل السنة . انتهى .

وذكر الرشاطى بسند متصل إلى أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال
رسول الله ﷺ فى قول الله تعالى : ﴿وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣)﴾ [الصفات]
قال : هم أهل السنة والجماعة .

انتهى ما قیدته من خط الوادى آشى المذكور رحمه الله .

وكان رحمه الله ممن حل بتلمسان بعد أخذ غرناطة أعادها الله ،
وحصلت له بها مصاهرة مع أعيانها بنى مرزوق ، ثم آلت إلى مقاطعة حسبما

ذكر ذلك فى بعض ما له من النظم، وكان له نظم لا بأس به، فمن ذلك قوله رحمه الله بعد بيت سقط من حفظى مضمناه أن الناس لاموه عندما طلق بنت ابن مرزوق وأظنه هكذا:

يلومنى الأقوام من بعد مثال سطا على ابن مرزوق ومن بإنفاق
فقلت لهم كفوا الملام فلانى تركت ابن مرزوق وأمت رزاقى

ومن ذلك قوله يرثى الشيخ الإمام الحافظ بل حافظ الإسلام سيدى أحمد بن يحيى الونشريشى الأصل التلمسانى نزيل فاس صاحب المعيار وغيره:

لقد أظلمت فاس بل الغرب كله بموت الفقيه الونشريشى أحمد
رئيس ذوى الفتوى بغير منازع وعارف أحكام النوازل الاوحد
له دربة فيها ورأى مسدد بإرشاده الأعلام فى ذاك تهتدى
وتالله ما فى غربنا اليوم مثله ولا من يدانيه بطول تردد
عليه من الرحمن أفضل رحمة تروح على مثواه وتغتدى
وقوله فى رثائه أيضاً:

أبعد ابن يحيى اليوم فى الغرب عالم يطبق بالفتيا المفاصل مثله
ويعرف من فقه النوازل غاية يوقع منها ما به بان نبه
وإن جئت للإنصاف لم يبق مثله وهذا الجليل ليس ينكر فضله
فإذ كان جاء الموت فالصبر والرضا على ما قضى فالحول حوله

وقوله فى ذلك :

رأيت نجوم الدين تبكى حزينة
فقلت ومن هذا فقالت مجيبة
فصحنا وقلنا : ويلنا ثم ويلنا
عليه من الرحمن أفضل رحمة
وقوله وقد بدل القافية :

رأيت نجوم الدين تبكى حزينة
فقلت ومن هذا فقالت مجيبة
إليه انتهت فى الفقه كل رياسة
ومذ غاب عنا أظلم الكون كله
وإنَّ عزائى فيه للخلق كلهم
على فقد من قد كان قطب زمانه
على الونشريشى رئيس ذوى الفتيا
ومعرفة زينت بحسن بيانه
وصار الضحى ليلا لفقد عيانه
خصوصا ذوى فقه لعز مكانه

وكانت وفاة الإمام الونشريشى المذكور، يوم الثلاثاء موفى عشرين من
صفر من عام أربعة عشر وتسع مئة، بمدينة فاس، رحمه الله، ونجب ولده
شيخ شيخنا القاضى سيدى عبد الواحد رحمه الله .

ومن نظمه أعنى الوادى آشى المذكور رحمه الله يمدح الفقيه أحمد
العبادى يقول :

ومن مثله فى العلم ييدى فنونه مع الدين والتقوى على صغر السن
فأثبتته المولى وأثبت أمره وزكى علومه حاز فى غير ما فن

ومن نظم الوادى أشى المذكور قوله :

تلمسان أرض لا تليق بحالنا ولكن لطف الله نسأل فى القضا
وكيف يحب المرء أرضا يسوسها يهود وفجار ومن ليس يرتضى

وقوله رحمه الله :

غريب فى تلمسان وحيد من الأحباب ليس له مشاكل
وكم فيها من الأصحاب ولكن عدت بها المناسب والمماثل

وكان رحمه الله كثير النسخ والتقليد، آية الله فى ذلك، حتى إنى رأيت
فى خزائن أهل تلمسان بخطه نحو المائة سفر، ورأيت بفاس نحو الثمانية^(١).
وأخبرنى مولانا شيخ الإسلام عمنا مفتى تلمسان، سيدى سعيد بن أحمد
المقرى رحمه الله، أنه نسخ بخطه نحو العشرين نسخة من توضيح خليل،
وكان يحترف بالنسخ رحمه الله، ونظمه نظم فقيه، وربما يقع له النادر ولولا
الإطالة جلبت أشياء من ذلك زيادة على ما سبق.

(١) هذا الصواب من بعض الأصول الخطية، والذي فى المطبوع: «ثمانمائة» والمثبت هو ما
يقتضيه السياق أيضاً لأن ابن الأزرق لم تطل إقامته بفاس حتى ينتسخ مثل هذا العدد
الهائل من المخطوطات.

ورأيت بخطه رحمه الله ما نصه:

ولسيدي محمد العربي أبقاه الله عند محاصرة النصارى للحضرة:

بالطبل في كل يوم وبالنقيير نراع
وليس من بعد هذا وذاك إلا القراع
يا رب جبرك يرجو من هيض منه الذراع
لا تسلبني صبرا به لقلبي ادراع

وله أيضاً وقد ظفر ببعض المرتدين، ممن صار والعياذ بالله غيبا يجره
الناس بالحضرة حيا:

ألا رب مغور تنصر ضلة فحاق به شؤم الضلال وشره
فإن يرتفع عند النصارى بالاعتنا فكم عندنا من حرف حبل يجره

وله أيضاً:

صور إن كنت نبيلاً صورة دام في تصويرها البحث وطالا
زوجة إن دخلت بيتاً فقد حرمت من بعد ما كانت حلالا
جوابه:

هي أن تلتبس^(١) زوج امرئ بنسا بيت قد أعجزن الرجالا
حيث قد أنكرن طرا عصمة منه قد ضمن دعواها المقالا

(١) هذا الصواب ما يقتضيه المعنى والوزن، والذي في المطبوع: «هي إن لم تلبس» وهو ما يرفضه الوزن والمعنى جميعاً.

وله أيضاً ملغزا:

ما رجل يعجب من أمره من لم يحقق نفسه أمره
حللت له وحرمت زوجة فى اليوم ثنتى عشرة مره
انتهى .

قلت: وهذا أبو عبد الله المذكور، هو صاحب الكتاب الذى بعث به
سلطان الأندلس أبو عبد الله المخلوع آخر ملوك الأندلس إلى السلطان الشيخ
الوطاسى، صاحب فاس، وقد تقدم ذكره فى أول هذا الموضوع فراجعه إن
شئت .

وقد حلاه الوادى آشى بقوله:

«بليغ العصر بل الدنيا، ومالك زمامى النظم والنشر بلا ثنيا، سيدى
محمد العربى، أنسا الله أجله وبلغه الله أمله». انتهى .

ورأيت بخط الوادى آشى المذكور ما نصه:

من الوثائق المجموعة: إن ذكر الموصى فى تابه أن تنفذ وصيته من سكة
كانت تجرى فى حين الوصية، ثم توفى الموصى وقد انقطعت تلك السكة،
فإن وصيته إنما تنفذ من تلك السكة التى كانت تجرى يوم الوصية، إلا أن
يكون نص فى وصيته أن تكون وصيته من النقد الجارى يوم تنفذ الوصية،
فيكون ما عهد فإن وقعت وصيته مطلقة ولم يشترط صفة، فإنما يكون ذلك
مما يجرى يوم التنفيذ، وذلك بخلاف الكوائى والديون. انتهى .

(١) الكوائى: المتأخر من الصداق .

قال محمد الوادى آشى قوله : «إنما تخرج مما يجرى يوم التنفيذ إن لم يشترط الصفة» والذي فى الكافى لأبى عمر خلفه، وعلى ما فى الكافى فى ذلك العمل، وبه شاهدت شيخنا المواق يفتى، وشيخنا قاضى الجماعة ابن منظور رحمه الله يحكم . انتهى .

ورأيت بخطه رحمه الله ما نصه : وجد بخط الرئيس القاضى أبى يحيى ابن عاصم رحمه الله تعالى :

الحمد لله .

إنما تستقل العقود الصحيحة، وتتم الموجبات الصريحة، بثبوتها لدى الحاكم، المنعقد ولايته عند تحصيل شروطها صحة وكمالاً، وذلك بأداء نصاب شهادتها العادلة استتماماً واستكمالاً، فإذا كان أحد شهدائها السلطان الأعظم، أو من أقامه السلطان مقامه، وهو قيوم الشريعة الذى ارتضاه الإمام لإنفاذ أحكامها عوضاً منه وأقامه؛ فإنَّ العمل الجارى بهذه الحضرة عند أهل كتب الأحكام، وهو اللازم اقتفاؤه، إذا أريد ثبوت العقد فيه هذه الشهادة واكتفاؤه؛ أن يُشهد القاضى الذى به نصاب هذه الشهادة عليها اثنين من شهداء العدالة أنها شهادته، ثم يؤدى عنده هذان العدلان، ويخاطب هذا الرسم على ما مرت به شهادته، ويُعلم للشهادة من شهد معه أداء وقبولاً، خطاباً عند غيره من القضاة مقبولاً، فإذا كان الفقه هكذا مقررًا، والعمل على هذه السنة محرراً؛ فمن أشهده الآن قاضى الجماعة بحضرة غرناطة فلان بن فلان، الأول من شهيدى الرسم فوقه، على أن الشهادة الموضوعه فيه أولاً هى

شهادته التى بها أشهد، وأنها مكتوبة بخط يده الذى منه تعود، وأنه تحملها مسئولة منه تحقيقا، ويؤدى عليها مطلقاً إيجاباً لها وتصديقاً فى كذا.

قال الوادى آشى ومن خطه أيضاً:

الحمد لله.

القول الظاهر الأدلة، الدارج على ارتكاب القضاة الأجلة؛ الجارى لدينا به العمل فيما تقبل به العقود المستقلة، قبول خطاب الحكم العدل مطلقاً وإن عزل أو توفى، وخط القاضى المعلوم العدالة إذا ثبت أنه خطه يكفى. والقول الآخر هو الذى رجحه غير واحد، وأكثروا على صحته من الحجج والشواهد. وللخروج من الخلاف وصون موعده من الاختلاف؛ أشهد الآن قاضى الجماعة، وقيام أحكامها المطاعة، فلان بن فلان وصل الله توفيقه، وكافاً تثبته فى النظر وتحقيقه، بثبوت الرسم فوقه لديه، واستقلاله عنده الاستقلال الكافى المعتمد عليه، لثبوت الرسم فوقه، لصحة الشهادة الأولى، ولإعلامه المعرب عن صحة ثانية الشاهدين هنالك أداء وقبولاً، فما كان كذلك لمن يرد عليه من القضاة أن يقبله على ثانى القولين اتفاقاً، هو الذى أشهد به الآن برهاناً لما ثبت لديه من ذلك ومصدقاً؛ تسجيلاً بإشهاده لصحة عقده، وذخيرة لليوم وما يأتى من بعده، وعمدة تقى الحكم على أمل الاحتمالين وأولاهما من إجازته أو رده؛ شهد على قاضى الجماعة المسمى بما فيه عنه من ثبوت وتسجيل، وقبول وتعديل؛ وهو فى مجلس أحكامه، ومظهر نقضه وإبرامه؛ فى كذا. انتهى.

قال محمد الوادى آشى رحمه الله :

هذه المسألة فوق هذا تليه، قد صنف فيها الشيخ الفقيه القاضى الجليل سيدى الحاج أحمد بن عبد الجليل اللخمى - ممن أدركناه بغرناطة مدرساً ونائباً عن قاضى الجماعة بها، وأدينا مراراً شهادات، وحضرنا جنازته رحمه الله - تصنيفاً مفيداً، لخص فيه المسألة واستظهر بالنقول، ولم يبق لأحد ما يقول.

وأما من كان شاهداً فى رسم ثم صادف أن صار قاضياً، وطولب بخطابه، فقد نزلت بى هذه بالمتكب، وأنا أنوب بها لضرورة بعض أيام، لمليب قاضيهما إذ ذاك بالحضرة، أواخر شعبان وأوائل رمضان عام سبعة وتسعين وثمان مئة، فصنعت طريقة مختصرة، كنت تلقيتها من شيخنا ابن منظور وأخبرنى أنها طريقة شيخه البدوى:

أشهدت عدلين على شهادتى، وأديا لدى بذلك فقبلتهما، وشهد على خط الآخر لمغيبه بالحضرة، وكتبت على الغائب: عرف بها عدلان لمغيبه، وعلى شهادتى: أشهدت بها عدلين، وأديا لدى بذلك فقبلتهما، وكتبت أسفله: ثبت بواجبه، وأعلم بذلك فلان، وفقه الله تعالى على من يقف عليه.

ونقلت من خط الوادى آشى المذكور ما نصه:

وجدت بخط سيدى وشيخى الكاتب الإمام الأعراف، سيدى محمد بن الجبير، رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه، ما نصه:

(١) الذى فى المطبوع: «وشهدا» وبهامشه: «فى الأصول: «وشهد» قلت: ما فى الأصول هو الصواب.

دعاء مبارك لتفريج الأزمات

اللهم إني تبرأت من حولي وقوتي، واستوثقت بحولك وقوتك، أرني عجائب لطفك، وغرائب حكمتك وقدرتك، وأتني بفرج من عندك، كما فرجت على يوسف الصديق نبيك، يا أرحم الراحمين.

هذا الدعاء إن ذكره أسير أو مسجون أو مكروب تسعين ألف مرة، يقول آخر كل ألف: يا لطيف يا لطيف يا لطيف، بعد البسملة، عاجله الفرج في الحين، ونفس الله سبحانه عنه، انتهى.

ومن خطه أيضاً رحمه الله ما نصه: من كلام بعض العلماء، وينسب إلى الأستاذ أبي سعيد بن لب، رحمه الله:

قد يأمر بما لا يريد فلا يكون، وقد ينهى عما أراد فيكون، كلف العباد وأراد منهم ما علم أنهم به عاملون، كلف بما شرع، وجعل له عاقبة، وأراد ما وقع، وقطع الارتباط بين المشروع والواقع، فلا يقتضى أحدهما الآخر. انتهى.

ومن خطه أيضاً ما نصه: ومن شرح خليل لسيدى أبى القاسم بن سراج: يحتاج إذا بيع الفدان وفيه زرع لم ينبت، أن يقول عاقد الوثيقة: «وفى الأرض زرع لم ينبت، فهو للمشتري بالعقد على مقتضى الشرع» لأنه إن لم يذكر هذا فقد يتنازع المتبايعان بعد ذلك: هل كان الزرع قد نبت أو لم ينبت، فيؤدى إلى اختلاف المتبايعين، انتهى.

ومن خطه أيضاً: وفي شرح عقيدة النسفى للتفتازانى ما نصه:

وفى فتاوى قاضى خان: أجمعوا على أنه إذا ارتشى - يعنى القاضى - لا ينفذ قضاؤه فيما ارتشى، وأنه إذا أخذ القاضى القضاء بالرشوة لا يصير قاضياً ولو قضى لا ينفذ قضاؤه، انتهى.

ومن خطه أيضاً رحمه الله: ول بعضهم وكان شيخنا ابن منظور يستحسنهما غاية، هذان البيتان:

لما أسر الماء فى أذن الحصى وقف النسيم ليسمع الأخبارا
فوشى به غرد فخاف فضيحة فبكى الغمام فأضحك الأنهارا

ومن خطه أيضاً رحمه الله: حدثنى الفقيه العدل سيدى حسن بن القائد الزعيم الأفضل، سيدى إبراهيم العراف، أنه حضر مرة لإنزال الطلسم المعروف بفروج الرواح، من العلية بالقصبة القديمة من غرناطة بسبب البناء والإصلاح؛ وأنه عاينه من سبعة معادن، مكتوباً فيه:

أيوان غرناطة الغراء معتبر طلسمه بولاة الحال دوار
وفارس روحه ريح تدبره من الجماد ولكن فيه أسرار
فسوف يبقى قليلاً ثم تطرقه دهماء يخرب منها الملك والدار

ومن خطه أيضاً رحمه الله: أنشدنا شيخنا القاضى ابن منظور بمجلس إقرائه قائلاً: إن فقيهاً من رندة كان كثيراً ما يتمثل بهذين البيتين:

أرى الكساد فى صنعة الكتبة ما إن يباع بها شقص ولا عتبه
تباً لصنعة قوم رأس مالهم خبر تبدده فى صفحة قصبه

ومن خطه أيضاً رحمه الله ما نصه: ألفيت بخط شيخ شيوخنا قاضى
الجماعة، الحافظ أبى القاسم بن سراج، رحمه الله، ما نصه:

تنبيه

جاءت الرواية فى العتبية فىمن اشترى ثمرة على ألا يقوم بالجائحة: أن
البيع صحيح والشرط باطل. فلما نزل ما أرى الله به من مجيء النصارى إلى
فحص غرناطة، وأفسدوا الزرع، غرم المكثرون الكراء، لأن الجيش ليس من
الجوائح التى تحط من الكراء، فامتنع الناس بعد ذلك من اكتراء الأرض خوفاً
من مجيء النصارى، وأدى ذلك إلى خسارة على الأحباس، فرأيت أن تكرر
الأرض، بشرط أنه إن جاء النصارى وأفسدوا، أن يحط الكراء. فاعتمدت فى
صحة العقد على قياس العكس، وهو أنه لا تفسخ المعاملة بشرط القيام
بالجائحة، فيما لا يشرع فيه القيام بالجائحة، ويبقى النظر فى الوفاء بالشرط
فى مسألة الكراء، لما فى ذلك من عموم المصلحة. انتهى.

ومن خط الوادى آشى المذكور أيضاً ما نصه: قال محمد بن الحداد
الوادى آشى، رحمه الله: وقعت مسألة وهى: رجل رهن بيد آخر داراً له،
وحوزه إياها، وشرط المرتهن المنفعة لنفسه، ثم إن الراهن دخل الدار
وسكنها، وعادت بيده، واتصل الأمر كذلك إلى تمام الأمد، وحلول الدين،

فطلب المرتهن الراهن بكراء المثل، فظهر لى بقصورى وتقصيرى، وجهلى المركب وعدم مقدورى، أنه لا كراء له، بدليل ظاهر الأقوال والروايات، ومنها ما حكاه فى المقرب عن ابن القاسم ونصه: ومن ارتهن دار ثم أذن للراهن أن يسكنها، أو يكرها فقد خرجت من الرهن، وإن لم يسكن ولم يكر، ومنها ما هو مقرر معلوم أن المرتهن إذا ترك كراء الدار ولها خطب وقدر، فمذهب ابن الماجشون أنه يضمن كراء مثلها، لأنه تعمد إبطالها، ما لم يكن الراهن عالماً، فإنه لا يضمن حينئذ، لأن سكوت الراهن عن ذلك رضاً به.

وكان شيخنا وإمامنا قاضى الجماعة سيدى محمد بن الأزرق، أبقى الله بركته، وهو الذى وقعت النازلة بين يديه؛ لا يوافق على ما ظهرلى؛ وينازع فى ذلك ويرى إلزام الكراء؛ ونسيت الآن ما كان يستدل به، ولست على تحقيق بما حكم به فيها آخر الأمر، وذلك فى عام تسعين وثمان مئة، بيد أنه تكلم فيها مع طلبته بمجلس درسه، وحضرت لذلك وأنا أعطلهم وأقلهم علماً، وأسوأهم فهماً، وأقلهم تحصيلاً ونبلاً، وهلم جرا؛ فأجبت بما قيدت هنا، مستدلاً بما نقلته، فلم يوافقنى هو ولا غيره، وفضل الله يؤتیه من يشاء، فقد قدر الله أن بضاعتى فى العلم مزجاة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

انتهى ما حضرنى الآن من كلام الوادى آشى؛ ومقيداته وإفاداته وإنشاداته كثيرة جداً.

وشيخه ابن الأزرق، المشار إليه في كلامه: هو الإمام العلامة الخطيب الحجة، الأعرف المؤرخ، الناظم الناصر الراوية، قاضى الجماعة بحضرة غرناطة، أعادها الله دار إسلام، سيدى أبو عبد الله محمد بن على بن محمد، الشهير بابن الأزرق الغرناطى.

قال السخاوى: لازم الأستاذ إبراهيم بن أحمد بن فتوح، مفتى غرناطة، فى النحو والأصليين والمنطق، بحيث إنّه كان جل انتفاعه به، وحضر مجالس أبى عبد الله محمد بن محمد السرقسطى، العالم الزاهد مفتيها أيضاً فى الفقه، ومجالس الخطيب أبى الفرج عبد الله بن أحمد البقنى، والشهاب قاضى الجماعة أحمد بن أبى يحيى الشريف التلمسانى. انتهى.

وله تأليف عظيمة النفع وقفت عليها بتلمسان منها، شرحه الحافل على مختصر خليل، وسماه شفاء الغليل، وقد توارد مع ابن غازى على هذه التسمية، فالله أعلم بالسابق منهما إليها.

على أنى أعتقد أنّ كل واحد منها لم يسمع بتسمية الآخر. وقد كان مولانا العم، سقى الله ثراه، يقول: لعل تسمية ابن الأزرق شفاء العليل «بالعين».

قلت: ويبيده إنى رأيت الخطبة بخط تلميذه الوادى آشى، السابق آنفاً: الغليل «بالغين»، ومثله بخط عم أبينا الفقيه العلامة، آية الله فى معرفة الأحكام، سيدى محمد المقرئ رحمه الله.

وهذا الشرح لم يؤلف على مختصر خليل مثله: إقناعاً ونقلًا وفهماً، وقد رأيت منه نحو الثلاثة أسفار، ولا أدرى هل أتمه أم لا؟ وتماه يكون فى نحو العشرين سفرًا، وقد كتبت بتلمسان خطبته فى كراسة، وقد أنى فيها

بالعجب العجاب، وهى أدل دليل على غزارة علمه، واتساعه فى الفروع والأصول، رحمه الله تعالى.

ومن جملة تأليفه: روضة الإعلام، بمنزلة العربية من علوم الإسلام؛ غاية فى بابها، سفر ضخمة فيه فوائد وحكايات. وكتاب بدائع السلك، وطبائع الملك؛ كتاب بديع فى موضوعه لخص فيه مقدمة تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر، وزاد عليه زيادات كثيرة نافعة، وهو فى سفر ضخمة وقد نقل عنه صاحب المعيار، أعنى عن ابن الأزرقي، وأظن أنه نقل عنه فى الجامع الذى ختم به المعيار.

وقد ارتحل رحمه الله إلى تلمسان، عند غلبة العدو الكفار على هضم ما بقى بيد المسلمين من بلاد الأندلس، ثم ارتحل منها إلى المشرق ولم أقف على وقت وفاته، إلا أنه كان ارتحاله لتلمسان بعد التسعين وثمان مئة بلا شك، وغالب ظنى أن ذلك فى أواخر العشرة التى كملت بها تسع مئة سنة للهجرة النبوية، والله أعلم. ولم أتحقق الآن هل دخلها، أعنى تلمسان بعد أخذ غرناطة أو قبله، وقد قدمنا أول هذا الموضوع وقت أخذها.

ومن شعره رحمه الله عند نزوله طاغية النصارى دمرهم الله بمرج غرناطة، أعادها الله للإسلام بجاه النبى عليه الصلاة والسلام:

مشوق بخيمات الأحبة مولع تذكره نجد وتغريه لعل^(١)
مواضعكم يا لائمين على الهوى فلم يبق للسلوان فى القلب موضع

(١) نفح الطيب ٢/ ٧٠٤.

ومن لى بقلب تلتظى فيه زفرة ومن لى بجفن تنهمى منه أدمعُ
 ورويدك فارقب للطائف موقعاً وخل الذى من شره يتوقعُ
 وصبراً فإنَّ الصبر خير تيممةٍ ويا فوز من قد كان للصبر يرجعُ
 وبت واثقاً باللفظ من خير راحمٍ فألطفه من لمحة العين أسرعُ
 وإنَّ جل خطب فانتظر فرجاً له فسوف تراه فى غدٍ عنك يرفعُ
 وكن راجعاً لله فى كل حالةٍ فليس لنا إلاَّ إلى الله مرجعُ

ومنه قوله عند وفاة والدته رحمها الله تعالى :

تقول لى ودموع العين واكفة ما أفضع البين والترحال يا ولدى
 فقلت أين السرى قالت لرحمة من قد عز فى الملك لم يولد ولم يلدِ

ومن بارع نظمه رحمه الله قوله فى المجنات :

ورب محبوبية تبدت كأنها الشمس فى حلاها
 فاعجب لحال الأنام: من قد أحبها منهم قلاها

ومن بديع نظمه رحمه الله قصيدة مدح فيها شيخه الإمام العلامة الجليل
 أبا يحيى بن عاصم، وهى من غرر النظام وحر الكلام وأثبتها لغرابتها :

خضعت لمعطفه الغصون الميس
ذو مبسم زهر الربا في كسبه
ومـوردٍ من ورده أو ناره
فالورد فيه من دموعى يرتوى
كملت محاسنه فقد ناضر
صعب التعطف بالغرام حبيته
غرس التشوق ثم أغرى الوجد بى
ما كنت أشقى لو حللت بجنةٍ
الحاظه ورضابه وعذاره
وليالى أنس قد أمنت بهن من
أطلعت شمس الراح فيها فاهتدى
صفراء كالعقيان فى الألوان للندمان كالشهبان منها أكؤس
صبت شقيقاً فاستحالت نرجساً
وحبابها يقنى بأسنى جوهرٍ
يجلى بها للغم منها حندسا
حتى إذا عمشت مراة البدر من
ناديته وسنى الصباح محصحص
وزنا فهام بمقلتيه النرجس^(١)
متنافس عن طيبه متنفس
يتنعم القلب العميد وبيأس
والنار فيه من ضلوعى تقبس
ولو احظ نجل وثغر ألعس
فالحب يحبى والعطف يحبس
فالوجد يغرى والتشوق يغرس
من وصله تحيا لديها الأنفس
حور بها أو كوثر أو سندس
واشٍ ومن رقيب يحرس
عاش إلينا فى الدجى ومغلس
فى مزجها فمورد ومورس
أنفى لغم المعدمين وأنفس
قمر عليه من الذؤابة حندس
صبح بدا تلقاءه يتنفس
ينجاب عنه من الظلام معس

(١) نفح الطيب ٦/ ١٥١.

يا مطلع الأنوار زهراً يجتنى
بك مجلس الأنس اطمأن وبابن عا
بدر بانوار الهدى متطلع
حامى فلم نرتع لخطب يعترى
شيم مهذبة وعلم راسخ
لو كان شخصاً ذكره لبدا على
ذاكم أبو يحيى به تحمى العلا
بيت على عمد الفخار مطنب
خيم وعرس فى حماه فكم حوى
إنا لنغدو هيماً فينيلنا
حتى أقمنا والأمانى منهضاً
لم ندر قبل يراعه وبنانه
هن اليراع بها يؤمن خائف
مهما انبرت فهي السهام يرى لها
تشفى بمأمله التشكى المعترى
فتقص حين تشق منها ألسن
من كل وشاء بأسرار النهى
قد جمع الأضداد فى حركاته
ومشعشع الصهباء ناراً تلمس
صم اطمأن من الرياسة مجلس
غيث بأشتات الندى متبجس
ووفى فلم نحفل بدهر ينحس
ومكارم هتن ومجد أقعس
أعطافه من كل حمد ملبس
وبه خلال الفخر طرا تحرس
مجد على متن السماك مؤسس
فيه المراد مخيم ومعرس
ريا ويوحشنا النوى فيؤنس
ت وابتسمنا والزمان معبس
أنّ الذوايل بالغمائم تحبس
ويحاط مذعور ويغنى مفلس
وقع لأغراض البيان نقرطس
تحبى بمأمنه الحمام المؤيس
وتسير حين تقط منها أرؤس
درب بإظهار السرائر يهجس
فلذا اطراد فخاره لا يعكس

عطشان ذو رى ييس مثمر غضبان ذو صفح فصيح أخرس
لله من تلك اليراع جواذب للسحر منك كأنها المغنيطس
رضنا شماس القول فى أوصافها فهى التى راضت لنا ما يشمس
وإليكما حللاً تنساب نسجها مثلى يفصلها ومثلك يلبس
واهناً بعيد باسم مبتهل وافاك يجهر بالسرور ويهمس
واحبس لواء الفجر موقوفاً فإنَّ الحمد موقوف عليك محبس

وبعد أن كتبت هذه القصيدة^(١)، حدث لى شك: هل هى من نظم
القاضى أبى عبد الله بن الأزرق المذكور أو من نظم ابن الأزرق الآخر الذى
جرى ذكره فى روضة الأعلام وأنشد له مما يكتب فى سيف قوله:

إنَّ عمت الأفق من نقع الوغى سحب فشم بها بارقاً من لمع إيماض
وإنَّ نوت حركات النصر أرض عدى فليس للفتح إلا فعلى الماضى
قلت: ولقد صدق رحمه الله فى كل ما وصف به قلم الرئيس أبى
يحيى بن عاصم، الذى تحلت بجواهره لدولة بنى نصر نحور ومعاصم، فإنه
كان آية الله فى النظم والنثر، وقد تقدم فى هذا الموضوع بعض كلامه، وهو
قل من كثر؛ ولولا أنى أطلت النجعة فى هذا الباب، لأتيت بما حصل عندى
من كلامه الذى يسحر الألباب؛ وقد أخذ من الفقه ومعرفة الأحكام بحظ بدَّ
فيه نظراءه، وانفرد فى عصره بطريق الأدب، فكان كل أنداده لا يدركه بل
يسير وراءه، حتى قال الوادى آشى: إنَّ ابن عاصم أبا يحيى، هو ابن الخطيب

(١) نفح الطيب ج ٦ ص ١٥٢.

الثانى، على أن الدولة النصرانية فى زمانه وهت منها المبانى ؛ ومع ذلك فكان رحمه الله يجبر صدع الواقع، ثم اتسع بعده الخرق على الراقع؛ وقد ألمنا فيما سلف من هذا الكتاب بالتعريف به، وذكرنا جملة من كلامه، فراجع ذلك فيما تقدم.

ومن بديع نظمه رحمه الله قوله قاصداً مخاطبة شيخه الحافظ، قاضى الجماعة أبى القاسم بن سراج وقد طلب منه الاجتماع به زمان فتنة، فظن أنه يستخبره عن سر من أسرار السلطان، فباعده معتذراً ولم يصدق الظن:

فديتك لا تسأل عن السر كاتباً فتلقيه فى حال من الرشد عاطل^(١)
ونضطره إما لحالة خائن أمانته أو خائض فى الأباطل
فلا فرق عندى بين قاض وكاتبٍ وشى ذا بحق أو قضى ذا بباطل

عود إلى الرد على بيتى الزمخشري

ولنرجع إلى ما كنا فيه، من ذكر الرد على البيتين اللذين أنشد الزمخشري، فنقول:

ومن ذلك قول الإمام ابن عاصم، حسبما نقله عنه العبدى رحمهما الله:

(١) نفح الطيب ج ٦ ص ١٥٠.